فضل الذكر

الشيخ نذا أبو أحمد

الألوكة
alukah.net

الكتاب الجامع للفضائل

(٥٢)

فضل الذكر- أ

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الذكر- أ

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧١،٧٠)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

المقدمة.

الذكر يتميز عن غيره من العبادات بأمور منها:

١- أن الله تعالى جعل الذكر باللسان.

٢- الذكر هو العبادة الوحيدة التي لا تنقطع في الجنة.

٣- الذكر له لذة لا يشبهها شيء من العبادات.

٤- الذكر ليس له وقت محدد، ولا هيئة معينة، ولا مكان مخصوص.

فضل الذكر في القرآن الكريم:

١- الله تعالى يذكر من ذكره.

٢- ذكر الله أكبر وأعظم الطاعات وأجل العبادات.

٣- الذاكرين لله هم أقرب الناس توبة إلى الله ورجوعاً إليه عند مواقعة الذنب.

٤- ولفضل الذكر وعظيم أجره أمرنا الله تعالى أن نكثر منه.

٥- كثرة الذكر سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة.

٦- كثرة الذكر سبب للمغفرة والأجر العظيم.

٧- جعل الله الذكر قرين جميع الأعمال وروحها.

٨- جعل الله الذكر خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها.

٩- الذكر راحة وطمأنينة للقلب.

تحذير رب العالمين من الغفلة عن ذكره:

١- نهانا وحذرنا من الغفلة عن ذكره تعالى

٢- الخسران كل الخسران في البعد عن ذكر الرحمن:

٣- المعرض عن ذكر الله توعده الله بالويل.

٤- المعرض عن ذكر الله يقيض الله له شيطاناً فهو له قرين.

٥- المعرض عن ذكر الله معيشته ضنك.

فضل الذكر من السنة المباركة:

١- الذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم.

٢-الذكر من أحب وأفضل الأعمال إلى الله تعالى.

٣- الذكر يجعل الإنسان في معية الرحمن.

٤- الذكر سبب لمحبة الله تعالى.

٥- ذكر الله هو أفضل الأعمال عند الله وأزكاها، وخير من كثير من أعمال البر.

٦- الذكر خير ما يكتز الإنسان.

٧- أهل الذكر تَحُفهمُ الملائكة وتَغْشاهُم الرَّحْمة وتتزلُ عليهم السكينة.

٨- جميع الأعمال إنما شُرعت لإقامة ذكر الله.

٩- الذكر عبادة الكائنات. ١٠- الله تعالى يصلي هو وملائكته على أهل الذكر.

١١- الذكر سبب لراحة البال وطمأنينة القلب. ١٢- بالذكر تُفتح أبواب السماء.

١٣- الذكر سبب لإجابة الدعاء. ١٤- الملائكة تتنافس على رفع الذكر.

١٥- كثرة الذكر أمانٌ من النفاق. ١٦- الذكر أمانٌ من اللعن.

١٧- الذكر أفضل من الدعاء. ١٨- الذكر يزيل الهم والغم، ويجلب للقلب الفرح والسرور.

١٩- الذكر مفرج للكرب والهم. ٢٠- الذكر حياة للقلوب والأبدان.

٢١- الذكر يعطي قوة للذاكر في بدنه. ٢٢- الذكر يورث جلاء القلب من صداه.

٢٣- الذكر شفاءٌ لقسوة القلب. ٢٤- الذكر يحفظ على الإنسان جوارحه.

٢٥- الذكر أفضل من عتق الرقاب.

٢٦- الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش وغير ذلك من آفات اللسان.

٢٧- إذا صلى الرجل هو وأهله في جوف الليل كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

٢٨- دوام ذكر الله تعالى يوجب الأمان من نسيانه. ٢٩- لا يخيب الذاكر مع الذكر.

٣٠- الذكر ينوب عن الطاعات ويقوم مقامها. ٣١- الذكر يطرد الشيطان.

٣٢- الله يعطي على الذكر ما لا يعطي على غيره. ٣٣- الذكر يجمع للعبد دنياه وآخرته.

٣٤- أهل الذكر هم أهل الكرم. ٣٥- أهل الذكر يباهي الله بهم الملائكة.

٣٦- الذكر يجعل صاحبه له السبق في الدنيا والآخرة. ٣٧- الذكر يغفر الله به الذنوب.

٣٨- الذكر يكتب الله به الحسنات. ٣٩- الذكر سبب للنجاة من عذاب الله.

٤٠- الذكر أمانٌ من الحسرةِ يوم القيامة. ٤١- الذكر يُثَقِّل الموازين.

٤٢- أهل الذكر في ظل عرش الرحمن. ٤٣- الذكر سبيل للفوز بالجنة.

٤٤- الذكر غِراسُ الجنة. ٤٥- أهل الذكر لهم مكانة عند الله يغبطهم عليها النبيون والشهداء.

من فوائد الذكر من كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم -رحمه الله-.

ثالثًا: أقوال للسلف عن الذكر وفضله.

فضل الذكر – أ

مقدمة:

يقول ابن القيم –رحمه الله– في كتابه "مدارج السالكين: ٢/٤٢١":

الذِّكر منشورُ الولاية، الذي من أُعطيه اتّصل، ومن مُنِعه عُزِل، وهو قوتُ قلوبِ القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارةُ ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا. وهو مترلُ القوم الذي منه يتزودون، وفيه يَتَّجرون، وإليه دائمًا يترددون، وهو سلاحُهم الذي يقاتِلون به قُطَّاع الطريق، وماؤهم الذي يُطفِئون به التهابَ الطريق، ودواءُ أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسببُ الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علَّام الغيوب.

إذا مَرِضْنا تداوَيْنا بذِكرِكُمُ ... وَنَتْرُكُ الذِّكرَ أحيانًا فننتكسُ

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهونُ عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاءُ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازلُ فإليه مفزعُهم، فهو رياض جنَّتهم التي فيها يتقلَّبون، ورؤوسُ أموال سعادتهم التي بها يتَّجرون، يدعُ القلبَ الحزين مسرورًا. والذكر عبوديةُ القلب واللسان، وهي غيرُ مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قِيعان، وهو غِراسها، فكذلك القلوب بورٌ خراب وهو عمارتُها وأساسها.

وهو جِلاءُ القلوب وصِقالُها، ودواؤها إذا غَشِيَها اعتلالُها، وكلما ازداد الذاكرُ في ذِكره استغراقًا ازداد المذكورُ محبةً إلى لقائه واشتياقًا، زيَّن الله به ألسنةَ الذاكرين، كما زيَّن بالنور أبصار الناظرين.

وهو بابُ الله الأعظم المفتوحُ بينه وبين عبده، ما لم يُغلِقه العبد بغفلته. اه

والذكر فيه من الفوائد العظيمة والفضائل الكثيرة، والأجور الكبيرة. ولِمَ لا وهو أحب الأعمال إلى الله، وهو سبيل للفوز بمحبته، والدخول في معيته، والأمان من نسيانه، ودليل على محبة الله. فمن أحب شيئا أكثر من ذكره، وهو راحةُ نفسية.

وبالذكر تحيا القلوب وتطمئن، وهو صيانة للإيمان من العطب، وحماية من الشيطان ووسوسته والذكر سياج الدين، والحصن الحصين، وهو سبب للقرب من رب العالمين.

والذكر هو الواحة الغناء، والساحة الفيحاء، والطريق إلى السعادة الأبدية، وباب الدخول إلى عتبة العبودية، والأنس بالله والقرب منه.

ويمكن تقسيم الذكر إلى قسمين:

أ- ذكر خاص: هو الحديث عن ذكر بعينه، كالحديث عن التسبيح أو التهليل أو التكبير أو التحميد.... وهكذا (وهذا النوع من الذكر سنفرد له رسالة خاصة- وهي التالية- بمشيئة الله تعالى)

ب- ذكر عام: وهو الحديث عن الذكر على سبيل العموم دون تحديد نوع معين من أنواع الذكر، وهذا هو المقصود هنا في هذه الرسالة. والله الموفق والمستعان.

والذكر يتميز عن غيره من العبادات بأمور منها:

١- أن الله تعالى جعل الذكر باللسان:

لو جعل الله الذكر باليد أو بأي عضو من الأعضاء لكلَّت وملَّت، لكن الله تعالى جعل الذكر باللسان وهو أخف جارحة في الإنسان، وهو الذي لا يكلُّ ولا يملُّ إذا ظل الإنسان طوال ليله ونهاره يذكر الله، ومع كون الذكر أيسر العبادات وأخفها مؤنة ومشقة ومع ذلك فهو أعظمُها أجرًا.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ ".

وفي حديث عند الترمذي من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ".

فأي مجهود بذله الإنسان وهو يردد هذا الذكر، لكن انظر إلى الأجر العظيم والفضل الكبير المترتب عليه ولا تتعجب، لأننا نتعامل مع الكريم سبحانه.

وقفة:" سمعَ رجلٌ أحدَهم يقول: الحمد لله الذي فضَّلني على كثير من خَلْقه، وعافاني مما ابتلى به الآخرين. فنظر إليه فإذا هو رجل شُلَّت أركانه، وفقد بصره، فقال له: على أي نعمة تحمده؟ وعلى أي فضيلة تشكره؟ فقال: الحمد لله الذي أعطاني قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا ".

٢- الذكر هو العبادة الوحيدة التي لا تنقطع في الجنة:

ولَّما كان الذكر من نعيم الدنيا لم يحرم الله ﷻ أهل الجنة هذا النعيم.

قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **(يونس: ١٠)**

ذكر ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٥٠٤" فصل بعنوان:" ارتفاعُ العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة "

ثم ذكر حديث رواه الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال:" يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّة فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يَبُولونَ، ولَكِنْ طَعامُهُمْ ذلكَ جُشاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والْحَمْدَ، كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ ". وفي رواية:" يُلهمون التَّسْبِيحَ والتكبير كما تُلهمون ". بالتاء المثناة من فوق، أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تُلهمون أنتم النفس. اه

وفي رواية:" لا اختلافَ بينَهُم ولا تباغضَ، قلوبُهُم قلبُ رجلٍ واحدٍ، يسبِّحونَ اللَّهَ بُكْرةً وعشيًّا ".

٣- الذكر له لذة لا يشبهها شيء من العبادات:

يقول مالك بن دينار-رحمه الله-:" ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ".

فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سُمِّيَت مجالس الذكر رياض الجنة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا"، قَالوا يَا رسُولَ اللّهِ! وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ:" حِلَقُ الذِّكْرِ[1]" (الصحيحة: ٢٥٦٢) (صحيح الترمذي: ٢٧٨٧)

يقول الحسن البصري -رحمه الله-:" تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ... وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ ".

ولما كان الذكر من نعيم الدنيا لم يحرم الله تعالى أهل الجنة هذا النعيم – كما مر بنا – **فقال تعالى عن أهل الجنة:** ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ **(يونس: ١٠)**

٤- الذكر ليس له وقت محدد، ولا هيئة معينة، ولا مكان مخصوص:

فالإنسان منا مُطالَب أن يذكر الله تعالى في كل أحيانه، يذكره في خلوته، وعند اختلاطه بالناس وبالليل والنهار، وفي السر والعلانية، والسفر والحضر، والغنى والفقر، والمرض والصحة، وفي البر والبحر، وفي السراء والضراء، عند النوم والقيام منه، وعند الخروج من البيت والعودة إليه عند الأكل والشرب والانتهاء منهما، وعند دخول المسجد والخروج منه وعند ركوب الدابة... إلخ.

١- حِلَقُ الذِّكْرِ: هي حلق العلم، لا كما يفعله غلاة المتصوفة حيث يتحلقون حلقة ويذكرون الله ذكرًا ممنوعًا ويظنون أن هذه هي حلق الذكر التي يقصدها الرسول ﷺ، وهذا خطأ غير مشروع، لكن حلق الذكر في الحديث يعني حلق العلم كما قال أهل العلم.

قال عطاء رحمه الله: إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تبيع وتشتري وتصلي، وتصوم، وتنكح، وتطلق، وتحج، وأشباه ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله: مجلس الذكر: يعني مجلس علم وتذكير، وهي المجالس التي يُذكر فيها كلام الله وسنة رسوله ﷺ وأخبار السلف الصالح، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة من التصنع والبدع، والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع ومما يدل على أن المراد بالذكر هو مجالس العلم ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، كانَ علَى كُلِّ بابٍ مِن أبْوابِ المَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأوَّلَ فالأوَّلَ، فإذا جَلَسَ الإمامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وجاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ".

والذكر ليس له وقت محدد، ولا هيئة معينة فيستطيع الإنسان منا أن يذكر الله قاعدًا وقائمًا على كل أحيانه، **كما قال تعالى مادحًا أصحاب العقول فقال:** ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩١)

قال ابن عباس–رضي الله عنهما–:" إن الله لَم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عَذَر أهلَها في حال العُذرِ، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، و لم يَعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله ".

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء:١٠٣)، أي: بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب:٤٢) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ". اه

وقال النووي–رحمه الله– في رياض الصالحين ص٥٤٢ "باب ذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضجعًا ومُحدثا وجنبًا وحائضًا...."ثم ذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:١٩٠).

ثم ذكر النووي –رحمه الله– حديثين تحت هذه الآية:

الأول: ما رواه الإمام مسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كُلِّ أحيانه [1]".

والثاني: حديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:

" لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا ".

وقال محمد القرظي–رحمه الله–:" لو رُخّص لأحد في ترك الذكر لرخِّصَ لزكريا –عليه السلام–.

قال تعالى: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ (آل عمران:١٩٠)

١– كان النبي ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه ولا يتوقف لسانه عن ذكر الله إلا عند دخول الخلاء ولذلك كان إذا خرج يستغفر الله أنه لم يذكره في هذه اللحظات التي كان يقضي فيها حاجته.

فقد أخرج الترمذي وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال:" غفرانك". (صحيح الجامع:٤٧٠٧)

يقول الشوكاني رحمه الله كما في "نيل الأوطار ١/١٠٥": إنه ﷺ استغفر لتركه الذكر في تلك الحالة لما ثبت أنه كان يذكر الله على كل أحواله إلا في حال قضاء الحاجة فجعل ترك الذكر في هذه الحالة تقصيراً وذنبا يستغفر منه، وقيل: استغفر لتقصيره في شكر نعمة الله عليه باقتداره على إخراج ذلك الخارج...". اهـ

ولو رُخِّصَ لأحد في ترك الذكر لرُخِّص للذين يقاتلون في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ **(الأنفال:٤٥)** **(حلية الأولياء:٣/٢١٥).**

أولاً: فضل الذكر في القرآن الكريم

١- الله تعالى يذكر من يذكره:

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ **(البقرة:١٥٢)**

يقول أهل العلم: لو لم يكن في الذكر من الفضائل إلا هذه الآية لكانت كافية في الحث على لزومه والإكثار منه.

وليس العجب من فقير يلجأ إلى غني، ولا من ضعيف يلجأ إلى قوي، وليس العجب من قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ إنما العجب من قوله ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فمن نحن حتى يذكرنا الله سبحانه إن ذكرناه، بل ذكره لنا أكبر وأفضل من ذكرنا له.

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-:" ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ". (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/٤٦٥)

ودليل ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك؛ ذكرتُك في نفسي، وإن ذكرتني في مَلإٍ ذكرتك في مَلإٍ من الملائكة أو في مَلإٍ خير منهم، وإن دنوتَ منّي شبرًا دنوتُ منك ذراعًا، وإن دنوتَ منّي ذراعًا دَنَوتُ منكَ بَاعًا، وإن أتيتني تَمشي أَتيتُكَ أُهَرْوِلُ". (صحيح الجامع: ٤٣٣٧) (وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يقولُ الله: أنا عنْد ظنِّ عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكرَني. فإن ذكرني في نَفْسِه ذكرتُهُ في نَفسي، وإنْ ذكرني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خيرٍ منهُمْ ".

وأخرج البزار من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:" قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إذَا ذَكرتَني خاليًا ذكرتُك خاليًا، وإذا ذكرتَني في ملأ ذكرتُك في ملأ خير من الذين تذكُرني فيهم (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٨٩)

وأخرج الطبراني من حديث مُعاذ بن أَنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله جَلَّ ذكرُهُ: لا يذْكُرني عبدي في نفسه إلا ذكرتُهُ في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرُني في ملأ إلا ذكرتُهُ في الرفيق الأعلى". (صحيح الجامع: ٤٣٣٥)

إن ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ، ولا يعبِّر عن شكره إلا سجود القلب.

يقول يحي بن معاذ–رحمه الله–:" يا غَفُول يا جَهُول! لو سمعتَ صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك لَمُتَّ شوقًا إلى مولاك ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم: ٥٦/١٠)**

وقال الحسن البصري–رحمه الله–:" إنَّ الله يذكر من يذكره، ويزيد من يشكره" فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. **فقال الحسن:" (فَاذْكُرُونِي) فيما افترضت عليكم (أَذْكُرْكُمْ) فيما أوجبت لكم على نفسي ".**

(**فَاذْكُرُونِي**) بطاعتي (**أَذْكُرْكُمْ**) بمغفرتي ورحمتي. **(قاله سعيد بن جبير –رحمه الله–)**

(**فَاذْكُرُونِي**) بالدعاء (**أَذْكُرْكُمْ**) بالإجابة والإحسان والعطاء.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالشوق والمحبة (**أَذْكُرْكُمْ**) بالوصال والقربة.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالاستغفار (**أَذْكُرْكُمْ**) بغفران ذنوبكم والتجاوز عن سيئاتكم.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالصبر (**أَذْكُرْكُمْ**) بأوفى الأجر.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالتوكل وتفويض أموركم (**أَذْكُرْكُمْ**) بالكفاية.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالتذلل (**أَذْكُرْكُمْ**) بالتفضل.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالحمد والثناء (**أَذْكُرْكُمْ**) بالمنن والعطاء.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالإخلاص (**أَذْكُرْكُمْ**) بالخلاص ومزيد الاختصاص.

(**فَاذْكُرُونِي**) باللسان (**أَذْكُرْكُمْ**) بالأمان.

(**فَاذْكُرُونِي**) بقلوبكم (**أَذْكُرْكُمْ**) بتحقيق مطلوبكم.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالحب (**أَذْكُرْكُمْ**) بنيل القرب.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالتعظيم (**أَذْكُرْكُمْ**) بالتكريم.

(**فَاذْكُرُونِي**) بالشكر (**أَذْكُرْكُمْ**) بالمزيد **(قاله القرطبي)**.

(**فَاذْكُرُونِي**) في النعمة والرخاء (**أَذْكُرْكُمْ**) في الشدة والبلاء.

فذكر الله سبب لذكره لكَ في الملأ الأعلى، وكفى بهذا شرفًا.

٢- ذكر الله أكبر وأعظم الطاعات وأجَلُّ العبادات:

قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ **(العنكبوت:٤٥).**

قيل في تفسيرها: إن ذكر العبد لله تعالى أكبر من كل ما سواه، وأفضل من كل شيء، وقد سُئل ابن عباس -رضي الله عنهما-: أي العمل أفضل؟ قال:" ذكر الله أكبر". **(شعب الإيمان للبيهقي: ٤٤٨/١).**

وقيل: إن ذكر الله للعبد الذي يذكره أكبر وأفضل من ذكر العبد لله، كما مر بنا من كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث قال:" ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه". **(تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٦٥/١)**

(وقد ذكرنا الأدلة التي تفيد هذا في العنصر السابق فلترجع فضلا لا أمرًا).

٣- الذاكرين لله هم أقرب الناس توبة إلى الله ورجوعًا إليه عند مواقعة الذنب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **(آل عمران:١٣٥)**

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ أي صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو ما دون ذلك، بادروا بالتوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وذكروا ما توعَّد به العاصين، ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، وندمهم عليها، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. اه

٤- ولفضل الذكر وعظيم أجره أمرنا الله تعالى أن نكثر منه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ **(الأحزاب:٤١،٤٢)**

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" يأمر الله تعالى المؤمنين بذكره ذكرًا كثيرًا من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله تعالى، وأقل ذلك أن يُلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات، وعلى جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكفٌّ اللسان عن الكلام القبيح. **ثم قال تعالى: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}** أي: أول النهار وآخره، لفضلهما وشرفهما، وسهولة العمل فيهما". اه

٥- كثرة الذكر سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة:١٠)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: أي اذكروا الله حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة **ولهذا جاء في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مَنْ دَخَلَ سُوقًا مِنَ الأَسْوَاقِ، فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةً"**(١).

وقال مجاهد-رحمه الله-:"لا يكون العبد من الذاكرين لله كثيرا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعا".

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا}:" أي في حال قيامكم، وقعودكم وعلى جنوبكم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح ". اه

٦- كثرة الذكر سبب للمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٣٥)

قال السعدي-رحمه الله-في تفسيره ١٦٣/٤:" وقوله ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أي: في أكثر الأوقات، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة؛ كالصباح والمساء، أو بالصلوات المكتوبات، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم﴾ أي لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، والتي هي ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، وبالإسلام والإيمان والإحسان، فجازاهم على عملهم ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم ". اه

٨- جعل الله الذكر قرين جميع الأعمال وروحها:

فقد قَرَنَهُ بالصلاة، فقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه:١٤)

وقَرَنَهُ بالحج، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة:١٩٨)

وقَرَنَهُ بالصيام، فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥)

١- إسناده ضعيف، وقد حسنه الألباني في (صحيح الجامع: ٦٢٣١).

٩- جعل الله الذكر خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها:

فختَمَ به الحج، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة:٢٠٠)

وختَمَ به الصلاة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء:١٠٣)

وختَمَ به الجمعة، فقال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة:١٠)

٧- الذكر راحة وطمأنينة للقلب:

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد:٢٨) وإذا اطمأن القلب انشرح الصدر، وارتاح البال وأنسَ بالله، وسعد في الدنيا والآخرة، وهذا هو عين الفلاح، الذي أرشدنا تعالى إلى تحصيله؛ وذلك بكثرة ذكره، **فقال تعالى:** ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال:٤٥)

قال ابن القيم-رحمه الله- في "التفسير القيم ص٣٢٣" عند هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد:٢٨)

الطمأنينة: سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف:" الصدق طمأنينة، والكذب ريبة" أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكونًا إليه، والكذب يُوجب اضطرابًا وارتيابًا.

وفي ذكر الله ههنا قولان أحدهما: أنه إذا ذكر العبدُ ربَّه فإنه يطمئن إليه قلبُه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله.

والقول الثاني: أن ذكر الله ههنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله على رسوله، به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن، فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المُحَصِّل لليقين الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به، وهذا القول هو المختار". اه بتصرف واختصار

وقال السعدي -رحمه الله- في تفسره:" ثم ذَكَر الله تعالى علاقة المؤمنين **فقال:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: حقيقٌ

١- وقفة: قال البغوي – رحمه الله-:" فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. (الأنفال:٢) فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؛ قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه". اهـ

بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له ". اه

تحذير رب العالمين من الغفلة عن ذكره

فكما حثنا رب العالمين على كثرة ذكره – كما مر بنا – فقد نهانا وحذرنا من الغفلة عن ذكره تعالى.

١- قال تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً[١] وَدُونَ الْجَهْرِ[٢] مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} (الأعراف:٢٠٥)

قال السعدي –رحمه الله– في تفسيره: ٢/٢٠٩:" وقوله: **{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ}** الذكر لله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان، ويكون بهما؛ وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ أصلًا وغيره تبعًا بذكر ربه في نفسه: أي مخلصًا خاليًا، ﴿تَضَرُّعًا﴾ بلسانك، مكررًا لأنواع الذكر، ﴿وَخِيفَةً﴾ في قلبك بأن تكون خائفًا من الله، وَجِلَ القلب منه، خوفًا أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: كن متوسطًا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا، ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ أول النهار، ﴿وَالْآصَالِ﴾ آخره، وهذان الوقتان، فيهما مزية وفضيلة على غيرهما. ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ الذين نسوا الله، فأنساهم أنفسهم، فإنهم حُرِموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به ". اه

٢- الخسران الحقيقي في البعد عن ذكر الرحمن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون:٩)

قال السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية:" يأمر الله عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فإن ذلك الربح والفلاح والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة ". اه

٣- المُعرض عن ذكر الله توعده الله بالويل:

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر:٢٢)

قال السعدي –رحمه الله– في تفسيره "٤/٢٣٢":" قوله **﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** أي لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم

١- ﴿خِيفَةً﴾: خوفا من الله تعالى.

٢- ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾: أي تسمع نفسك دون غيرك.

الويل الشديد، والشر الكبير، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟!!". اه

٤-المعرض عن ذكر الله يقيض الله له شيطانا فهو له قرين:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ[١] عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ[٢] لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ **(الزخرف:٣٦)**

والمقصود بذكر الله في الآية هو القرآن.

قال ابن القيم-رحمه الله-:" والصحيح أن ذكره الذي أنزله على رسوله هو كتابه، من أعرض عنه قَيَّضَ الله له شيطانًا يضله ويصده عن السبيل وهو يحسب أنه على هدى". اه

وقال السعدي -رحمه الله- في تفسيره "٤٦٥/٤":" وقوله ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي يعرضُ ويصد ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة، رَحِم بها الرحمن عباده فمن قبلها فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب. ومن أعرض عنها وردها فقد خاب وخسر خسارة لا يَسعد بعدها أبدًا، وقيَّض له الرحمن شيطانًا مريدًا، يقارنه ويصاحبه، ويعده، ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزًّا ". اه

تنبيه: إذا كان المقصود بذكره في الآية هو القرآن أصلاً، فإنه يدخل فيه الذكر تبعًا. **ويدلك على هذا قول ابن عباس- رضي الله عنهما-:" الشيطان جاثمٌ على قلبِ ابنِ آدم، فإذا لَهَا وغَفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس ". (رواه الحاكم)**

وكما سيأتي أنه لا نجاة من هذا الشيطان الطريد اللعين إلا بذكر رب العالمين.

٥- المعرض عن ذكر الله معيشته ضنك:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ **(طه:١٢٤)**

قال ابن القيم:" والصحيح أن ذكره الذي أنزله على رسوله هو كتابه، ولهذا يقول المعرض عنه: **{رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ}** (طه:١٢٥،١٢٦).

اه بتصرف واختصار

١- ﴿يَعْشُ﴾: يُعرض ويتعامى.

٢- ﴿نُقَيِّضْ﴾: نقدر له ونهيئ له.

تنبيه:

وكما قيل في الآية السابقة أنه إذا كان المقصود بذكره في الآية هو القرآن أصلا فإنه يدخل فيه الذكر تبعًا. ومفهوم المخالفة للآية أن الذي يذكر الله ويكثر من ذكره يعيش حياة طيبة، **كما قال تعالى:** ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)

ثانياً: فضل الذكر من السنة المباركة

١- الذكر وصية النبي ﷺ:

لِعِلْمِ النبي ﷺ بفضل ومكانة الذكر كان يُوصِي به.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن بُسْر ﷺ: أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كَثُرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به[1]. قال:" لا يَزالُ لِسانُك رَطْبًا مِن ذِكْرِ اللهِ ".

(رواه الترمذي وحسَّنه وابن ماجه وابن حبَّان والحَاكِمُ وقال: صحيحُ الإسناد) (صحيح الجامع: ٧٧٠٠) (صحيح الترمذي: ٣٣٧٥)

قال الطيبي-رحمه الله-:" وقوله ﷺ:" لا يَزالُ لِسانُك رَطْبًا مِن ذِكْرِ اللهِ " ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يُبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر، فكأنه ﷺ قال: دوام الذكر، **فهو كقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:" أُوصِيكَ بِتقوى اللهِ تَعَالى، فَإِنَّهُ رَأسُ كلِ شَيءٍ، وَعَلَيكَ بِالجِهَادِ، فَإِنَّه رَهْبَانِية الإِسْلام وعَلَيكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالى، وتلاوة القرآن، فإنه رَوْحك[2] في السماء، وذِكرُك في الأرض". (صحيح الجامع: ٢٥٤٣)

وأخرج الترمذي والحاكم عن يسيرة-رضي الله عنها-عن رسول الله ﷺ قال:" عليكنّ بالتّسبيحِ والتّهليلِ والتّقديسِ واعقِدنَ بالأناملِ، فإنّهنّ مسؤولاتٌ مستنطقاتٌ، ولا تغفلنَ فتنسينَ الرّحمةَ ". (صحيح الجامع: ٤٠٨٧)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والبغوي في شرح السنة من حديث عبد الله بن بُسْر المازني ﷺ قال:

" جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: أَيُّ الأعمال أفضل؟ قال:" أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ". (قال محقق شرح السنة للبغوي: إسناده صحيح)

١- أتشبث به: أي اتعلق به.

٢-رَوْحك: أي راحتك.

٢- الذكر من أحب وأفضل الأعمال إلى الله تعالى:

فقد أخرج ابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث مُعاذ بن جَبَلﷺ قال: آخرُ كلام فَارَقْت عَليه رَسُول الله ﷺ: أَنْ قُلْتُ: أيُّ الأعمَال أَحَبُّ إلى الله؟ قال:" أن تموتَ ولِسانُك رَطْبٌ مِن ذِكرِ الله ".

وعند البزار بلفظ: قُلْتُ: أَخبرني بأفضل الأعمال، وأَقربِهَا إلى الله، قال:" أن تموتَ ولِسانُك رَطْبٌ مِن ذِكرِ اللهِ ". (صحيح الجامع: ١٦٥) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٩٢)

٣- الذكر يجعل الإنسان في معية الرحمن:

والمعية كما قال أهل العلم معيتان: معية عامة، ومعية خاصة.

والمعية العامة: هي معية علم وإحاطة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، **والمعية الخاصة:** المقصد منها الحفظ والكلأ والرعاية والولاية والمحبة والنصر والتوفيق، وقد ذكر القرآن قول النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وقال تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، فالذكر يجعل الإنسان في هذه المعية الخاصة فيكون في كلأ الله وحفظه ورعايته ونصرته.

وقد أخرج الإمام أحمد والطبراني وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هُريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي[1] إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ". (صحيح الجامع: ١٩٠٦)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" قالَ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي ".

قيل لمحمد بن نصر-رحمه الله-: أما تستوحش وحدك؟ فقال: كيف أستوحش وهو القائل سبحانه:" أنا جليسُ من ذَكَرني".

أضف لهذا أن هذه المعية تورِّث الإنسان المراقبة حتى تدخل العبد في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ويورثه الإنابة والقرب، فعلى قدر ذكر العبد لربه يكون قربه منه واستشعار معية الله، وعلى قدر غفلته يكون بعده عنه.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ **(المزمل:٨)**

قال السعدي -رحمه الله-:" أي انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدنيه من رضاه".

١- قال ابن بطال: معنى الحديث:" أنا مع عبدي زمان ذكره لي" أي: أنا معه بالحفظ والكلاءة، لا أنه سبحانه معه بذاته حيث حلَّ العبد. (شرح السنة: ١٤/٥).

تنبيه: معية الله للذاكر تكون إذا اتفق القلب واللسان، لقوله سبحانه:" أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه"، فإذا اجتمع القلب واللسان فإن الله تعالى يكون مع الذاكر المعية الخاصة التي تتضمن الإعانة والتوفيق.

٤- الذكر سبب لمحبة الله تعالى:

فالذكر محبب إلى الله تعالى والله يحب مَنْ يَذكُرُه.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح:" وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها المستقيم ". اه

٥- ذكر الله هو أفضل الأعمال عند الله وأزكاها، وخير من كثير من أعمال البر:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالكُم، وأَزْكاها عِندَ مَلِيككُم، وأَرفعها في دَرَجاتكُم، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم؟!" قالوا: بَلَى يا رَسُولَ الله، قال:" ذِكْرُ اللهِ[1]". (صحيح الترمذي: ٣٣٧٧) (صحيح الجامع: ٢٦٢٩) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٩٣)

وأخرج الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" مَن عجزَ منكُم عنِ اللَّيلِ أن يُكابِدَهُ، وبَخِلَ بالمالِ أن يُنْفِقَهُ، وجبُنَ عنِ العَدوِّ أن يجاهِدَهُ، فليُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٩٦)

وقال المناوي -رحمه الله- في فيض القدير:" فإن جميع العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وغيرهما وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله، والذكر هو المقصود الأعظم، والقلب الذي تدور عليه رَحا جميع الأديان ". اه

١- قال العز بن عبد السلام في كتابه القيم "قواعد الأحكام في مصالح الأنام":" ١/٥٠" هذا الحديث يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها. ومما يدل على هذا حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" ألا أنبئكم..." فذكر الحديث. ثم قال: ومما يدل على ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" مَنْ قال حينَ يُصبحُ وحينَ يُمسي: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمده، مائةَ مَرَّةٍ، لَمْ يأتِ أحدٌ يومَ القيامةِ بأفْضلَ مِمَّا جاء به، إلَّا أحَدٌ قال مثلَ ما قال أو وزادَ عليْه". (أخرجه مسلم في "صحيحه). وكذلك قوله عليه السلام فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ". (أخرجاه في الصحيحين)

والحاصل بأن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف، فإن تساوي العملان من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما لقول الله تعالى:" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ". اهـ

قال الشيخ مصطفى العدوي – حفظه الله-: ومما يؤيد ما قاله العز بن عبد السلام أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات قوله ﷺ لجويرية رضي الله عنها:" لقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ مُنْذُ اليَومِ لَوَزَنَتْهُنَّ"، وما جاء عنه ﷺ في فضل قل هو الله أحد: أنها تعدل ثلث القرآن. وما جاء عنه ﷺ في فضل آية الكرسي وسورة الفاتحة وغير ذلك.

٦- الذكر خير ما يكنز الإنسان:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث ثَوْبَان ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال له بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة. لو عملنا أي المال خَيْر فَنتَّخِذهُ؟ فقال:" أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذاكرٌ، وقَلْبٌ شاكرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ على إِيمَانِه". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٩٩)

٧- أهل الذكر تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتتنزل عليهم السكينة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُريرة، وأبي سعيد - رضي الله عنهما - أنَّهُمَا شَهِدا على رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال:" لا يَقْعُدُ قومٌ يَذْكُرُون الله إلا حفتهم الملائكة، وغَشيَتهمُ الرحمةُ، ونزلتْ عليهمُ السَّكينَةُ، وذكَرهُم الله فِيمَنْ عِنْدَهُ ".

٨- جميع الأعمال إنما شُرِعَت لإقامة ذكر الله:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه:١٤) أي لإقامة ذكري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت:٤٥):" الصحيح أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، أحدُهما أعظمُ من الأخرى، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله وذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر". اه بتصرف

وأخرج الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال:" إِنّمَا جُعِلَ الطّوَافُ بِالْبَيْتِ، والسّعْيُ بَيْنَ الصّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللّهِ عزّ وجلّ".

(في إسناده عبيد الله، قال الحافظ عنه، ليس بالقوي، لكن صححه الألباني في الصحيحة: ٧٧)

وكما أن جميع الأعمال إنما شُرِعَت لإقامة ذكر الله، فكذلك ذكر الله لا تخلو منه عبادة: فتجد أن الذكر يدخل في الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد.. إلخ.

- فالشهادتان مثلا: قوامهما النطق بأفضل الذكر" لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ".

- والطهارة في الصلاة لابد فيها من الذكر، كما قال النبي ﷺ:" لا وُضوءَ لَمن لم يَذكُرِ اسمَ اللهِ عليه". (رواه الترمذي عن سعيد بن زيد ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧٥٧٣)

- وعند الانتهاء من الوضوء هناك ذكر يُقَال وقد بيَّن النبي ﷺ فضله.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ ثُمَّ قال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ".

زاد الترمذي:" اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ"، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ).

– **الأذان والإقامة**: وكلمات الأذان والإقامة كلها ذكرٌ وتهليل وتكبير.

– **الصلاة**: والصلاة كلها ذكر، وبعد الفراغ من الصلاة أذكار، **قال الله تعالى عن يوم الجمعة**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ **إلى قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} (الجمعة:٩-١٠)**

– **الصيام**: شهر الصيام فيه أعظم الذكر وهو القرآن الذي نزل في شهر رمضان.

قال تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} (البقرة:١٨٥)

وقال الله تعالى بعد اكتمال شهر رمضان: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة:١٨٥)

– **الحج: جاء في حديث أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضَلُ الحَجِّ: العَجُّ والثَجُّ ". (صحيح الجامع: ١١٠١) (الصحيحة: ١٥٠٠)**

والعَجُّ: هو رفع الصوت بالإهلال والتكبير، والثَجُّ: نحر الهدي، ومن بداية الحج ذكرٌ وتوحيد حيث يُلبِّي الحاج فيقول:" **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلك، لا شريك لك**".

ومناسك الحجِّ من طواف، وسعيٍ، والوقوف بعرفة، وعند المشعر الحرام، وفي منًى مع رَمي الجمار ونَحْر الهَدي، وأيامُ منى كلُّها أيامُ ذكرٍ لله تعالى، وبَعد المناسك كذلك، ومسكُ الختام في ذلك **قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} (البقرة:١٩٨-٢٠٠)** فكل خُطوةٍ من خُطُوات الحجِّ كلُّها ذِكرٌ لله ﷻ.

- **والذكر كما هو ملازمٌ للإنسان في عبادته فهو كذلك ملازمٌ للإنسان في عاداته وفي مأكله ومشربه وملبسه بل في جميع أحواله.**

– **ففي المأكل والمشرب يقول:" بِسْمِ اللّه". وعند الانتهاء يقول:" الحمدُ لله الذي أطعَمَني هذا الطَّعامَ ورزَقَنيه من غيرِ حولٍ منِّي ولا قوة". (أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي)**

– **وعند إرادة النوم يقول:" باسْمِكَ رَبِّي، وضَعْتُ جَنْبِي، وبِكَ أرْفَعُهُ، فَإنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عبادَكَ الصّالحينَ". (رواه البخاري ومسلم)**

– **وعند الاستيقاظ يقول:" الحَمْدُ لله الذي أحْيَانا بَعْدَ ما أماتَنا وإلَيْهِ النّشُور". (رواه البخاري ومسلم)**

– **وعند الذبح يقول:" بِسْمِ اللّه".** حتى تحل له الذبيحة

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (الأنعام:١١٨)، والآية الأخرى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} (الأنعام:١٢١)، فأحلَّهَا ذكرُ الله وحرَّمَها عدمُ ذكرِ الله[1]

– **الجهاد**: وكذلك يُذكر الله في حالة الحرب كما يُذكر في حالة السِّلم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال:٤٥)

– **عند النسيان**: وعند النسيان ليَتذكَّرَ ما نَسيَه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف:٢٤)، بل وفي كل الحالات، كما هو حال النبي ﷺ **تقول عائشة –رضي الله عنها–:" كان رسول الله ﷺ يَذكُر الله تعالى على كل أحيانه". (رواه الإمام مسلم) فاشغل لِسانَك بذكره، وقلبك بمحبته، وجوارحك بخدمته.**

٩– الذِّكرُ عبادةُ الكائنات[2]:

لم يقتصر الذِّكر بكونه عبادة الإنسان والملائكة والجنِّ فقط، بل هو وحده عبادة جميع الكائنات من أرضٍ وسماءٍ وشجرٍ ومَدَرٍ وجَماد ونبات... **قال الله تعالى:** ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة:١١٦)

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء:٤٤)

وقال ﷺ:" ما تستقلُّ الشمسُ فيبقَى شيءٌ من خَلق الله إلا سبَّح الله بحمده، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم ". (رواه ابن السني وأبو نعيم في الحلية من حديث عمرو بن عبسة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٥٥٩٩)

أولاً: الملائكة: قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء:٢٠)

ثانيًا: السموات والأرض: قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة:١)

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (الإسراء: ٤٤)

قال القرطبي:" أعاد على السموات والأرض ضميرَ مَن يعقلُ لما أُسند إليها من فعلِ العاقل وهو التسبيح". **(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠/٢٦٦)**

ثالثًا: الجبال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾. (الأنبياء:٧٩)

١– الأصل في تحريم بهيمة الأنعام أن تكون ميتةً، وفيها علَّةٌ ظاهرةٌ وهي: مَضَرَّةُ الأكل، ولكن إذا ذُكيت ارتفعت المضرَّة، ولكن إذا لم يُذكَر اسم الله عليها فلا تحلُّ، فهل من علَّة معلومة أم لا؟ والواقع أن العلةَ هنا أهمُّ من العلة في المَيْتة، وذلك أن المطلوب من ذكرِ الله على بهيمة الأنعام – وكلِّ كائنٍ حيٍّ حَلَّ أكلُه من الطيور والصيد هو أن الأصل في تلك الكائنات أنها ملكٌ لله تعالى، هو خالقُها ورازقُها أنزل لها الماءَ من السماء، وأنبت لها المرعى من الأرض، وربَّاها حتى صارت صالحةً لمنفعة الإنسان، فكان حقُّ الله تعالى في هذه البهيمة أن لا يُعتدى عليها بذبح وإزهاقِ رُوحٍ والانتفاع بها إلا بإذن من خالقها سبحانه وهو قول:" بسم الله والله أكبر"، أي باسم الله أذبحُها، والله أكبر مني عليها، وهو الذي سخرها لي، فهو بمثابة الاستئذان وبمثابة العرفان لله بالجميل والإنعام. ولهذا يَعتبر الشرعُ كلَّ إزهاقٍ للروح بدون ذكر اسم الله ميتةً، كما يَعتبرُ الشرعُ أيضا كلَّ ذكرٍ لغير اسم الله شركًا مع الله وبهذا يَظهرُ عظيمُ السرِّ في ذكرِ اسم الله عند الذبح، سواءٌ كان المذبوحُ بَعيرًا أو طيرًا صغيرًا لأن العلةَ هي إزهاقُ تلك النفس التي لا يملكُها إلا خالقها". (في ظلال عرش الرحمن ص١٩٨)

٢- ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله للدكتور سيد حسين العفاني حفظه الله ص٩٢–٩٦

وقال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾. (سبأ:١٠)

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾. (ص:١٨)

وقال رسول الله ﷺ:" مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا". (رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٣٦٣) (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣٤)

رابعًا: الرعد: قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد:١٣)

خامسًا: الطعام: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:"... ولقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل ".(رواه البخاري)

– وفي رواية: كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعامَ ونحن نسمع تسبيح الطعام ".

قال ابن حجر–رحمه الله–:" إن ذلك كان على عهدِ رسول الله ﷺ وقد اشتُهِر تسبيح الحصى وحنينُ الجذع، و لم يَكذِب رُواتُها ". (فتح الباري: ٥٩٢/٦)

سادسًا: الجن: عن جابر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ سورة "الرحمن" من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال:" لقَدْ قرأتُها علىَ الجنِّ ليلةَ الجنِّ فكانوا أحسَنَ مردودًا منكم، كنتُ كلَّما أتيتُ على قولِه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشَيءٍ من نِعَمِكَ ربَّنا نُكَذِّبُ فلَكَ الحمدُ". (رواه الترمذي وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٦٢٤) (صحيح الترمذي: ٢٦٢٤)

سابعًا: تلبية الشجر: قال رسول الله ﷺ:" مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا ". (رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد الساعدي وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٨٢٨)

ثامنًا: الحيتان: قال رسول الله ﷺ:" إنه لَيستغفرُ للعالِمِ مَن في السَّماواتِ، ومَن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في البَحرِ". (رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة: ١٩٥)

تاسعًا: النمل: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِى جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ ". (رواه الترمذي وصححه الألباني في الصحيحة: ٢١٦١)

عاشرًا: الخيل: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّه ليْسَ من فَرَسٍ عَرَبِيٍّ، إلَّا يؤذَنُ له عندَ كلِّ سَحَرٍ بدَعوتَينِ: اللَّهُمَّ خوَّلتَني مَن خوَّلتَني من بني آدمَ، وجعلتَني له، فاجعَلني من أحبِّ مالِه وأَهلِه إليه ". (رواه الإمام أحمد والنسائي وهو في صحيح الجامع: ٢٤١٤)

الحادي عشر: الهدهد: يَقصُّ الله علينا من إنكاره على قوم بَلقيس ودعوته للتوحيد وذكره...

قال تعالى: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} (النمل:٢٦،٢٥)

الثاني عشر: عمومُ الطير: قال تعالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} (الأنبياء:٧٩)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ (النور:٤١)

الثالث عشر: الجماد: كما قال ابن كثير:" يُخبر الله تعالى أنه يُسَبِّح له مَن في السموات والأرض؛ أي من الملائكة والأناسي والجان والحيوان، حتى الجماد، **كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (الإسراء:٤٤)". (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/٢٩٧)**

وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الزمر:٧٥)

قال ابن كثير–رحمه الله– "في تفسيره: ٤/٦٩": أي نطق الكونُ أجمعه ناطقُه وبهيمُه لله رب العالمين بالجهر في حُكمه وعدله، ولهذا لم يُسند القولَ إلى قائل، بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد". اه

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه ابن السني وأبو نعيم في الحلية من حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا تَستَقِلُّ الشَّمْس فَيَبْقَى شَيء مِنْ خَلْقِ اللهِ إلا سبَّح اللهَ بِحَمدِه، إلا مَا كَانَ مِنْ الشَيَاطِين، وَأَغبِيَاءُ بني آدم". (صحيح الجامع: ٥٥٩٩) (الصحيحة: ٢٢٢٥)

١٠– الله تعالى يصلي هو وملائكته على أهل الذكر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:٤١–٤٣)

ومن صلى الله تعالى عليه والملائكة فقد أفْلَح كل الفلاح، وفاز كل الفوز. وصلاة الله تعالى المقصود منها هي الثناء على العبد في الملأ الأعلى كما ذُكر هذا في صحيح البخاري عن أبي العالية.

أما عن صلاة الملائكة فهي طلب المغفرة والرحمة والتوبة على الذاكر وقد بيَّن هذا النبي ﷺ **كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال:" صَلاَةُ الرَّجُلِ في جماعة تزيدُ عَلَى صَلاَتِه في سُوقه وبَيْته بضْعاً وعشْرين دَرَجَةً....". ثم قال:" فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كانَ في الصَّلاَة ما كَانَت الصَّلاَةُ هي تَحْبسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ ما دَامَ في مَجْلِسِه الذي صَلَّى فيه يقولونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ له اللَّهُمَّ تُبْ عليه، ما لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، ما لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ ".**

١١- الذكر سبب لراحة البال وطمأنينة القلب:

لأن الذاكر لله تعالى يوافق مخلوقات الله في توجهها إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء:٤٤)

ومر بنا الحديث الذي أخرجه ابن السني وأبو نعيم في "الحلية" من حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا تَستَقِلُّ الشَّمْس فَيَبْقَى شَيء مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلا سبَّح اللهَ بِحَمدِه، إِلا مَا كَانَ مِنْ الشَيَاطِين، وَأَغبِيَاءُ بني آدم ". (صحيح الجامع: ٥٥٩٩)

قال ذو النون –رحمه الله–:" ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابت الجنةُ إلا برؤيته.

١٢- بالذكر تُفتَحُ أبوابُ السماء:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما–: قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم:" الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا"، فقال رسول الله ﷺ:" مَنْ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟" قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال:" عَجِبْتُ لَهَا فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ". قال ابن عمر–رضي الله عنهما–: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك ".

١٣- الذكر سبب لإجابة الدعاء:

فقد أخرج البيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ثلاثةٌ لا يَرُدُّ اللهُ دُعاءَهم: الذاكرُ اللهَ كثيرًا، ودعوةُ المظلومِ، والإمامُ الْمُقسِطُ ". (الصحيحة: ١٢١١) (صحيح الجامع: ٣٠٦٤)

وأخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَن تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ ".

١٤- الملائكة تتنافس على رفع الذكر:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ أن رجلا جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال:" أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بالكَلِمَاتِ؟" فأرَمَّ القَوْمُ، فَقالَ:" أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فإنَّه لَمْ يَقُلْ بَأْسًا"، فَقالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا، فَقالَ:" لقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا".

وفي رواية عند البخاري من حديث رفاعة بن رافع الزُّرَقِّي ﷺ قال: كنا يومًا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال:" سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ"، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال:" مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟" قال: أنا، قال:" رَأَيْتُ بضْعَةً وثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا[1] أيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أوّلُ ".

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" إذَا قالَ الإمامُ: سَمِعَ اللَّهُ لمن حمِدَهُ، فقولوا: اللَّهمَّ ربَّنا لَكَ الحمدُ، فإنَّهُ مَن وافقَ قولُهُ قولَ الملائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِن ذَنبِهِ".

١٥- كثرة الذكر أمان من النفاق:

فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:١٤٢)

قال كعب -رحمه الله-:" من أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق ". اه

ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون:٩)

١٦- الذكر أمان من اللعن:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذِكرُ الله وَمَا وَالاه وَعالمًا أو مُتعلِّمًا ". (صحيح الجامع: ١٦٠٩)

١٧- الذكر أفضل من الدعاء:

يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "الوابل الصيب ص١٥٧":" الذكر ثناءٌ على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ والذكر سبب لقبول الدعاء؛ فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضلُ وأقربُ إلى الإجابة من الدعاء المجرَّد ". اه بتصرف

١٨- الذكر يزيل الهم والغم، ويجلب للقلب الفرح والسرور:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك، وابنُ عبدك، وابنُ أَمَتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ

١- يبتدرونها: يعني يسارعون إلى كتابة هذه الكلمات لعظم قدرها.

عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ همِّي، إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ وحزنَه، وأبدلَه مكانَه فرجًا ". (الصحيحة: ١٩٩)

ومن أعرض عن ذكر الله تجده مضطرب القلب، خائف مستوحش، مهموم مغموم، لا يشعر بالراحة والسعادة والاطمئنان ووجد الغم والكرب والضنك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه:١٢٤)

فالذكر نُعصم به من الزلل، ونَستشفي به من العلل:

إذا مَرِضْنا تداوَيْنا بذِكرِكُمُ ونتركُ الذِّكرَ أحيانًا فَنَنْتَكِسُ

١٩- الذكر مفرج للكرب والهم:

قال تعالى عن يونس -عليه السلام-: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. **(الصافات:١٤٤،١٤٣)**، من المعلوم أن تسبيح ذي النون في بطن الحوت **كما جاء في قوله تعالى:** ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ **(الأنبياء:٨٧) (أفاده الشيخ مصطفى العدوي – حفظه الله-)**

ومما يدل على أن الذكر يفرج الله به الكروب، ما يكون يوم القيامة حيث يقف الناس في أرض المحشر خمسين ألف سنة حتى يركبهم الهم والغم والكرب فيذهبوا إلى الأنبياء ليستشفعوا لهم عند ربِّهم ليقيم فيهم الحساب ولكن كل واحد من الأنبياء يقول:" لست لها، لست لها"، حتى يذهبوا إلى النبي ﷺ فيقول:" **أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا** ". ويقوم النبي ﷺ بين يدي ربه فيدعو ربَّه بمحامد يلهمه الله إياها فيقبل الله شفاعة النبي ﷺ فيقيم حينها الحساب بين الخلائق.

ففي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري ومسلم وفيه "... فَأُوتَى فأقُولُ: أنا لَها فأنْطَلِقُ فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فأقُومُ بيْنَ يَدَيْه فأحْمَدُهُ بمَحامدَ لا أقْدِرُ عليه الآنَ يُلْهِمُنيه اللَّهُ، ثُمَّ أخِرُّ له ساجِدًا، فيُقالُ لِي: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي... الحديث ".

٢٠- الذكر حياة للقلوب والأبدان:

كما جعل الله تعالى من الماء كل شيءٍ حي، وجعل الروح حياة للجسد، فقد جعل الذكر حياة للقلب واطمئنانه.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والْمَيِّتِ ".

وفي لفظ لمسلم:" مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذْكَرُ اللَّهُ فيه، والْبَيْتِ الذي لا يُذْكَرُ اللَّهُ فيه، مَثَلُ الحَيِّ والْمَيِّتِ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "فتح الباري: ١١/٢١٠": إن الذي يُوصَف بالحياة حقيقة هو الساكن لا الموطئ، وإن إطلاق الحيِّ والميِّت في وصف البيت إنما يُرادُ به ساكنُ البيت فشبَّهَ الذاكرَ بالحي الذي ظاهره مُتَزَيِّنٌ بنور الحياة، وباطنه بنور المعرفة، وغيرَ الذاكر بالبيتِ الذي ظاهره عاطل، وباطنه باطل ". اه

فَنسيَانُ ذِكْرِ اللهِ مَوتُ قلوبهم وأَجْسامُهم قَبْلَ القُبــور قُبُورُ
وأرواحهــم فِــي وَحشَةٍ مِن جُسومِهِم ولَيس لَهُم قَبْل النُّشُورِ نُشورُ

(مدارج السالكين: ٢/٤٣٠)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:" الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

٢١– الذكر يعطي قوة للذاكر في بدنه:

فقد اخرج البخاري عن ابن ابي ليلى قال:" حَدَّثَنَا عَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ –رضي الله عنها– شَكَتْ ما تَلْقَى من أَثَرِ الرَّحَا، فأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِسَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ – لتطلب منه من يخدمها من السبايا – فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وقدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ، فَقَالَ:" عَلَى مَكَانِكُمَا". فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ:" أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ؛ فَهو خَيْرٌ لَكُما مِن خَادِمٍ ".

وفي لفظ للإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا وَشَكَتِ العَمَلَ، فَقَالَ: " ما أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا". قَالَ:" أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى ما هو خَيْرٌ لَكِ مِن خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ ".

وقال هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾. (هود:٥٢) والاستغفار أحد أقسام الذكر.

قال ابن القيم–رحمه الله–:" لَقَدْ حَضَرتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابنْ تيمية مرَّةً، بَعْدَمَا صَلَّى الفَجرَ ثم جلَسَ يذكُرُ اللهَ تعالى حتَّى انتَصَفَ النهارِ، ثم التَفتَ إِليَّ، وقال: هذه غَدْوتي، ولو لم أتغَدَّى هَذَا الغَداءَ لسَقَطَتْ قُوَّتي ".

٢٢– الذكر يورِّث جَلاءَ القلب من صداه:

فكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقراءة القرآن والصلاة على الحبيب العدنان.

قال ابن القيم –رحمه الله–:" لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله ﷻ، ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، فجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ".

لكن من كَثُرَت ذنوبه، وطالت غفلته، وبعُد عن ربه ونسي ذكره، تراكم على القلب الصدأ وركبه الران، **كما قال تعالى:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤)، فتراه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وإذا اشتدت الغفلة وزاد الران انطمس نور القلب وازداد سوءًا فيرى الحق باطلًا والباطلَ حقًّا، ولا تراه إلا متبعًا لهواه بعيدًا عن مولاه. قال تعالى محذِّرًا من هذا الصنف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف:٢٨)

يقول ابن رجب –رحمه الله–:" يا من ضيع قلبه أنشده في مجالس الذكر عسى أن تجده، يا من مرض قلبه أحمله إلى مجالس الذكر لعله أن يُعافى ".

٢٣– الذكر شفاء لقسوة القلب:

عدم ذكر الله نتيجته قسوة القلب، وقاسي القلب مستحق لوعيد الله ﷻ **قال تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٢،٢٣)

قال رجل للحسن البصري –رحمه الله–: يا أبا سعيد: أشكو إليك قسوة قلبي، قال:" أدِّبْهُ بالذِّكْر".

وقال مكحول –رحمه الله–:" ذكر الله شفاء، وذكر الناس داء ".

٢٤– الذكر يحفظ على الإنسان جوارحه:

فالذكر بمثابة الصدقة على البدن، وبه يُحفظ بإذن الله.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى[1] مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِن ذلكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى ".

فكل مفصل من مفاصل ابن آدم عليه صدقة، لأن تركيبه على هذه المفاصل وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فيحتاج كل مفصل منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون شكرًا لهذه النعمة، فإذا ذكر الله عدد المفاصل (وهي ثلاثمائة وستون) فقد تصدق على نفسه وحفظ الله عليه جوارحه.

٢٥– الذكر أفضل من عتق الرقاب:

فقد أخرج أبو داوود من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَأَنْ أقعُدَ مع قَومٍ يَذكُرونَ اللهَ تَعالى من صَلاةِ الغَداةِ حتى تَطلُعَ الشَّمسُ، أحَبُّ إلَيَّ من أنْ أُعتِقَ أربَعةً من وَلَدِ إسماعيلَ، ولَأَنْ أقعُدَ مع قَومٍ يَذكُرونَ اللهَ من صَلاةِ العَصرِ إلى أنْ تَغرُبَ الشَّمسُ، أحَبُّ إلَيَّ من أنْ أُعتِقَ أربَعةً ". (صحيح الجامع:٥٠٣٦)

وفي رواية عن الإمام أحمد والطبراني في الكبير بلفظ:" لأَنْ أذكر اللهَ تعالى من صَلاةِ الفجر إلى طلوع الشَّمسُ أَكبِّرُ وأُهلِّلُ وأسبِّحُ أحَبُّ إليَّ من أن أعتق أربعًا من وَلَدِ إسماعيل، ولأن أذكر الله من صَلاةِ العَصرِ إلى أن تغيب الشَّمسُ أحبُّ إليَّ من أن أُعتِقَ كذا وكذا من ولدِ إسماعيل ". (قال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره)

١- سُلامَي: قال النووي: أصله عظام الأصابع وسائر الكف. ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله.

ووصف الرقاب في هذا الحديث بكونهم من ولد إسماعيل؛ لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلًا عن العجم. **(انظر فتح الباري لابن حجر:١١/٢٠٥)**

٢٦- الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والغش والبهتان وغير ذلك من آفات اللسان:

يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه الوابل الصيب ص٨٥:" الذكر سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لابد له من أن يتكلم، فإن لَمْ يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بِهَذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتَّة إلا بذكر الله تعالى ". اه بتصرف

٢٧- إذا صلى الرجل هو وأهله في جوف الليل كُتِبَا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات:

فقد أخرج أبو داوود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:" إذا أَسْتَيْقظَ الرَّجلُ منَ اللَّيلِ، وأيْقظَ أَهلَهُ وَصَلَّيا رَكعتينِ كُتِبَا مِنْ الذَّاكرينَ الله كَثِيرًا والذَّاكراتِ[1]". (صحيح الجامع:٣٣٣)

١- وقوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ فقد اختلف أهل العلم فيمن يستحقون هذا الوصف:

- فقال الإمام أبو الحسن الواحدي -رحمه الله:" قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغُدُوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من مترله ذكر الله تعالى".

- وقال مجاهد - رحمه الله:" لا يكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا. وقال عطاء -رحمه الله:" من صَلَّى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾.

- وسُئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح -رحمه الله-. عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، فقال:" إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا - وهي مُبَيَّنةٌ في عمل اليوم والليلة - كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، والله أعلم". اهـ.

وبنحوه قال الإمام محمد الجَزَري -رحمه الله-. في "العدة" وقال شارحه:" لا شك أن صدق هذا الوصف - أعني: كونه من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات - على من واظب على ذكر الله تعالى وإن كان قليلًا، أكمل من صدقه على من ذكر الله كثيرا من غير مواظبة، وقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (كان يذكر الله على كل أحيانه)، وورد عنه ﷺ: أن (أحب العمل إلى الله أدومه)". اهـ (تحفة الذاكرين ص٤٣)

- وقال العلامة صديق حسن خان - رحمه الله:" وقد ورد عنه ﷺ أذكار وأدعية عند الأحوال المختلفة، وفي الأوقات المتنوعة، كالنوم واليقظة والأكل والشرب واللباس ونحوها، ووردت لكل حال من هذه الأحوال، وفي كل وقت من هذه الأوقات أذكار متعددة، وكذلك أدعية فوق الواحد والاثنين، فمن أخذ بذكر أو دعاء من الأذكار والأدعية المذكورة، وأتى به في ذلك الحال والوقت فقد صدق عليه وصف الإكثار من الذكر إذا داوم عليه في اليوم والليلة، ولم يخل به في ساعاته من النوم واليقظة، وأما من واظب على جميعها، وأتى بها ليلًا ونهارًا، وجعلها وظيفة دائمة فلا تسأل عنه؛ فإنه قد فاز بالقِدْحِ المُعَلَّى، وسلك الطريقة المثلى، ولم يأت أحد بأفضل مما أتى هو به إلا من صنع مثل صنيعه أو أكثر أو زاد عليه، فعليك أن تكون من أحد هذه الأصناف، لتصدق عليك هذه الأوصاف، وإلا فلا تكن". اهـ

(نزل الأبرار ص٩)

تنبيه: أفضل وقت للصلاة والذكر في جوف الليل الآخر، **وذلك للحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي من حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أقربُ ما يكونُ الربُّ من العبدِ في جوفِ الليلِ الآخرِ فإنِ استطعْتَ أن تكونَ ممن يذكرُ اللهَ في تلْكَ الساعةِ فكُنْ ". (صحيح الجامع:١١٧٣)**

٢٨- دوام ذكر الله تعالى يُوجب الأمان من نسيَانه:

إن دوام ذكر الربِّ ﷻ يُوجبُ الأمان من نسيانه الذي هو سَببُ شَقَاء العبد في معاشِه ومَعادِه؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:١٩)

وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره فإنه يُفسَد ولابد، وكذا حال من لا يتعهد قلبه بمداومة ذكر الله ومراقبته.

٢٩- لا يخيب الذاكر مع الذكر:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث كعب بن عجرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مُعَقِّباتٌ[1] لا يَخيبُ قائلُهُنَّ - أوْ فاعِلُهُنَّ- دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلاثٌ وثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً، وثَلاثٌ وثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً، وأَرْبَعٌ وثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً ".

٣٠- الذكر ينوب عن الطاعات ويقوم مقامها:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن فُقَراءَ المُهاجرينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالُوا: ذهب أهل الدُّثُورِ[2] بالدرجات العُلَى، والنَّعيمِ المُقيمِ: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ويَصُومُونَ كَمَا نصُومُ، ولَهُم فَضْلٌ من أمْوَالٍ: يَحُجُّونَ، ويَعْتَمِرونَ، ويُجَاهِدُونَ، ويَتَصَدَّقُونَ. فقالَ:" أَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بعدَكُم، ولا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُم؟" قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال:" تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُونَ، وتُكَبِّرون خَلْفَ كل صلاة ثلاثًا وثلاثينَ". قال أبو صالح الرَّاوي عَنْ أَبي هُريرَةَ، لَمَّا سُئِلَ ﷺ عن كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ، قال: يقولُ:" سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، واللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ ثَلاثًا وثلاثِينَ ".

وفي رواية:" جَاءَ الفُقَراءُ إلى النبيِّ ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوالِ بالدَّرَجاتِ العُلَى، والنَّعيمِ المُقيمِ يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولَهُمْ فَضْلٌ من أَمْوالٍ يَحُجُّونَ بها، ويَعْتَمِرُونَ، ويُجاهِدُونَ، ويَتَصَدَّقُونَ، قالَ:" ألا أُحَدِّثُكُمْ بأَمْرٍ إذَا أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَن سَبَقَكُمْ ولَمْ يُدْرِكْكُمْ أحَدٌ بَعْدَكُمْ، وكُنْتُمْ خَيْرَ مَن

١- مُعَقِّباتٌ: تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة.

٢-الدُّثُورِ: جمع دَثْر "بفتح الدال وإسكان الثاء المثلثة" وهو المال الكثير.

أنتُمْ بيْنَ ظَهْرانَيْهِ إلَّا مَن عَمِلَ مِثْلَهُ؟ تُسبِّحونَ وتَحْمَدُونَ وتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ". (رواه البخاري)

وزاد مُسْلِمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنا أَهْلُ الأَمْوالِ بِما فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ".

فالنبي ﷺ جعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد.

٣١- الذكر يطرد الشيطان:

الكل يعرف العداوة القديمة التي كانت بين الشيطان وآدم عليه السلام. ففي البداية عندما قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له: **فقال تعالى:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩) ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١١،١٢)

وكانت النتيجة أن طرده الله ﷻ من الجنة وجعله ملعونًا إلى يوم الدين. **فقال تعالى:** ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص:٧٧،٧٨) فإذا بالشيطان يطلب من الله ﷻ أن يتركه حيًّا إلى يوم البعث. **فقال:** ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (ص:٧٩) **فقال له ربُّ العزَّة:** {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} (ص:٨٠)

لكن يا تُرى لماذا طَلَبَ الشيطانُ أن يمكُثَ حيًّا إلى يوم القيامة؟ هو يُفصِح عن هذا فيقول: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (ص:٨٢،٨٣) إذًا هو طلب المكث في الدنيا إلى قيام الساعة من أجل إغواء بني آدم وصدهم عن الصراط المستقيم، فقال هذا الطريد اللعين: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦)، فلا سبيل للتحرز والنجاة من هذا الشيطان إلا بذكر الرحمن.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِهِنَّ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِهِنَّ...". فقال في الحديث:" إنَّ اللهَ أمَرني بخَمسِ كلماتٍ أن أعمَلَ بِهِنَّ، وآمرُكم أن تعمَلوا بِهِنَّ...". وفي الحديث:" وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَجَ العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَزَ نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكْرِ اللهِ". (صحيح الجامع:١٧٢٤) (صحيح الترغيب والترهيب:١٤٩٨)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وحْدَهُ لا شَريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، في يَومٍ مائَةَ مَرَّةٍ؛ كانَتْ له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ

له مائَةُ حَسَنَة، ومُحيَتْ عنه مائَةُ سَيِّئَة وكانَتْ له حِرْزًا مِنَ الشَّيْطانِ يَومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأْتِ أحَدٌ بأَفْضَلَ مِمَّا جاءَ، إلَّا أحَدٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ ".

والذكر كما هو حرز من الشيطان، فهو كذلك يطرده ويبعده، فيشعر الإنسان بالأنس والأمان طالما أن لسانه يَلهج بذكر الرحمن.

فالشيطان يخنس ويبتعد عن الإنسان إذا ذُكِرَ الرحمن عند الخروج من البيت:

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قَالَ – يَعْنِي إذَا خَرَجَ من بيته – بسمِ اللهِ، توكَّلتُ على اللهِ، ولَا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ يُقالُ لهُ حينئذٍ: كُفِيتَ ووُقِيتَ وهُدِيتَ، وتنحَّى عَنهُ الشَّيطانُ، فيقولُ لشَيْطانٍ آخر: كَيْفَ لَكَ برجُلٍ قدْ هُدِيَ و كُفِيَ ووُقِيَ؟".(صحيح الترغيب: ١٦٠٥) (صحيح الجامع: ٦٤١٩)

والشيطان يمتنع من المبيت أو الإطعام عند ذكر الرحمن:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال:" إذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِه وعِنْدَ طَعَامِه، قالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ، ولَا عَشَاءَ، وإذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِه، قالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، فإذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِه، قالَ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ والْعَشَاءَ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث حذيفة ﷺ قال: كُنَّا إذَا حَضَرْنَا مع النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حتَّى يَبْدَأَ رَسولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وإنَّا حَضَرْنَا معهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فأخَذَ رَسولُ اللهِ ﷺ بيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّما يُدْفَعُ فأخَذَ بيَدِه، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:" إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عليه، وإنَّه جَاءَ بهذه الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بهَا فأخَذْتُ بيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ به فأخَذْتُ بيَدِه، والَّذِي نَفْسِي بيَدِه، إنَّ يَدَهُ في يَدِي مع يَدِهَا"

وأخرج أبو يعلى في مسنده والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا آوَى الرَّجلُ إلى فِراشه ابْتدَرهُ مَلَكٌ وشيطانٌ، فيقولُ المَلَكُ اختِمْ بخيرٍ، ويقولُ الشَّيطانُ اختِمْ بشرٍّ، فإنْ ذكَر اللهَ ثمَّ نامَ، بات المَلَكُ يَكْلَؤُه، وإذَا استيقَظَ قَالَ المَلَكُ افتَحْ بخيرٍ، وَقَالَ الشَّيطانُ افتَحْ بشرٍّ، فإنْ قَالَ الحَمْدُ للهِ الَّذي ردَّ عَليَّ نفسي ولَمْ يُمتْها في منامِها الحمدُ للهِ الَّذي ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ إلى آخرِ الآيةِ (فاطر:٤١) الحَمْدُ للهِ الَّذي ﴿يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فإنْ وقَعَ عَنْ سَرِيرِه فَمَاتَ دَخَلَ الجَنَّةَ ". (ضعفه الألباني لكن حسنه المنذري والحافظ ابن حجر)

والشاهد هو قول النبي ﷺ:" فإنْ ذكَر اللهَ ثمَّ نامَ، بات المَلَكُ يَكْلَؤُه... الحديث". فإذا ذكر الله خنس الشيطان وبات يكلؤه الملك.

يقول ابن عباس –رضي الله عنهما–:" الشَّيْطانُ جاثِمٌ عَلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإنْ سَها وغَفَلَ وسَوْسَ وإذا ذَكَرَ اللّهَ خَنَسَ". (أخرجه الحاكم في المستدرك برقم ٣٩٩١)

والشيطان يخنس ويولي إذا سمع الأذان والإقامة.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وله ضُرَاطٌ حتَّى لا يَسْمع التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حتَّى إِذَا ثُوِّبَ بالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حتَّى يَخْطِرَ بيْنَ المَرْءِ ونَفْسِهِ، يقولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِما لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى... الحديث".

ذكر يُقال لطرد ورد كيد مردة الشياطين:

أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى عن أبي التَّياحِ قال: قُلت لعبد الرحمن بن خَنْبَشٍ التميمي، وكان كبيرًا: أدركتُ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قُلتُ: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطينُ؟ قال:" إنَّ الشَّياطِينَ تَحَدَّرَتْ تلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ –عليه السلام – فَقَالَ:" يَا مُحَمَّدُ! قُلْ". قَالَ:" مَا أَقُولُ؟" قَالَ:" قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ[١] الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرَأَ[٢] وَذَرَأَ[٣]، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا[٤] وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ[٥] إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ". قال:" فَطُفِئَتْ نَارُهم، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢-١٦) (الصحيحة:٢٩٩٥)

الذكر حماية للإنسان من الشيطان عند دخول الخلاء:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلاَءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ ". (صحيح الجامع: ٣٦١١)

١- كَلِمَات اللهِ التَّامَّات: الكاملات التي لا عيب فيها ولا نقص.

٢- بَرَأَ: أي خلق فهو الخالق البارئ.

٣- ذَرَأَ: أي بثَّ الخلق في أقطارها وأسكنهم في أرجائها.

٤- يَعْرُجُ: أي يصعد.

٥- الطَارِق: هو كل ما يأتي ليلًا..

الذكر حماية للإنسان من الشيطان عند النوم:

ففي الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال:" إذا أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ فاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزالَ معكَ مِنَ اللَّهِ حافِظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتَّى تُصْبِحَ ".

ومما يدل على أن الشيطان يَخْنس ويتصاغر عند سماع الذكر

ما رواه النسائي في الكبرى والطبراني في الكبير والحاكم عن أبي المليح عن أبيه ﷺ قال:" كنت رديف النبي ﷺ فَعَثُرَ بعيرنا، فقلت: تعسَ الشيطان، فقال لي النبي ﷺ:" لا تَقُلْ :تَعس الشَّيطانُ، فإنَّه يَعظُمُ حَتّى يَصيرَ مِثْلَ البَيْتِ، ويَقُولُ: بقُوَّتي، ولَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، فإنَّه يَصْغُرُ حَتّى يَصيرَ مِثْلَ الذُّباب" (صحيح الترغيب والترهيب: ٣١٢٨)

وأخرجه الإمام أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي تميمة الهجيمي عمن كان رِدْفَ النبي ﷺ قال:" كنتُ رِدفَه على حمارٍ، فعثَر الحمارُ، فقلتُ: تعِس الشَّيطانُ، فقال لي النَّبيُّ ﷺ:" لا تقُلْ تعِس الشَّيطانُ، فإنَّه إذا قلتَ: تعِس الشَّيطانُ تعاظم في نفسِه، وقال: صرعتُه بقوَّتي، وإذا قلتَ: بِسْمِ اللهِ تصاغرتْ إليه نفسُه حتَّى يكونَ أصغرَ من ذبابٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣١٢٩)

ورواه الحاكم بلفظ:" وإذا قِيلَ: بِسْمِ اللهِ خنس حَتّى يَصيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ".

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن عمرو الأسلمي أنه سمع أباه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
" عَلَى كُلِّ بعيرٍ شيطانٌ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا، فَسَمُّوا اللهَ عزَّ وَجلَّ، وَلاَ تُقَصِّروا عَنْ حَاجَاتِكُمْ ". (صحيح الجامع: ٤٠٣١)

وعند الإمام أحمد والطبراني أيضا من حديث أبي لاسٍ الخزاعي[1] ﷺ قال: حملت رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة بُلَّحٍ[2]، فقلنا: يا رسول الله ما نرى أن تحملها هذه؟ فقال:" مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلاَّ فِي ذِرْوَتِه شَيْطَانٌ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا رَكِبتُموها، كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ، ثُمَّ امتهِنوها لأنفُسِكم، فإنَّمَا يحمِلُ اللهُ – عزَّ وجلَّ".

والشيطان يخنس ويتعد إذا قال الإنسان الذكر عند الجماع، وهو كذلك سبب لحفظ الذرية. فقد **أخرج البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:" لَوْ أنَّ أحَدَكُمْ إذا أتَى أهْلَهُ قالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ وجَنِّبِ الشَّيْطانَ ما رَزَقْتَنا، فإنَّه إنْ يُقَدَّرْ بيْنَهُما ولَدٌ في ذلكَ لَمْ يَضُرُّهُ شيطانٌ أبَدًا[1].)"**

١– أبي لاسٍ: اسمه عبد الله بن غنمة، وقيل زياد، له حديثان عن رسول الله ﷺ أحدهما هذا.

٢– بُلَّحٍ: بضم الباء وتشديد اللام بعدها حاء مهملة، ومعناه أنها قد أعيت وعجزت عن السير، يُقال: بلح الرجل، بتخفيف اللام وتشديدها: إذا أعيا، فلم يقدر أن يتحرك.

وقد نقل القرطبي –رحمه الله– في تفسيره: ٢٨٩/١٠ عن مجاهد أنه قال:" إذا جَامع الرجل و لم يسَمِّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه فذلك قوله تعالى: **{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}**". اه

والذِّكرُ يعصِم الإنسان من الشيطان عندما يؤُزُّه على معصية الرحمن:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ **(الأعراف:٢٠١،٢٠٠)**

والذكر يحل عُقَد الشيطَان:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ على مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ ".

فلا سبيل للنجاة من هذا الشيطان اللعين إلا باللجوء والاعتصام برب العالمين. **قال معلم لتلميذه:** ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك خطايا؟ **فقال التلميذ:** أجاهده فقال المعلم: فإن عاد؟ قال التلميذ: أجاهده **فقال المعلم:** فإن عاد؟ **قال التلميذ:** أجاهده. فقال المعلم: هذا يطول عليك، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من المرور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الكلب يكفه عنك". **(تلبيس إبليس)**، ولله المثل الأعلى استعن بالله على هذا الشيطان يكفك إياه.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار عن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ قال: "**إنَّ أحدَكُم يأتيه الشَّيطانُ، فيقولُ: مَن خلَقَك؟ فيقولُ: اللهُ، فيقولُ: فمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فإذا وَجَدَ ذلك أحدُكُم، فلْيَقُلْ: آمَنتُ باللهِ ورُسُلِه؛ فإنَّ ذلك يَذْهَبُ عَنْهُ**". **(صحيح الترغيب والترهيب:١٦١٢)**

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَأْتِي الشَّيْطانُ أحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذا، مَنْ خَلَقَ كَذا؟ حتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ ولْيَنْتَهِ".

١– لا يضره شيطان أبدا: قال ابن دقيق العيد – رحمه الله:" يحتمل أن يؤخذ عامًا، يدخل تحته الضرر الديني، ويحتمل أن يؤخذ خاصا بالنسبة إلى الضرر البدني، بمعنى أن الشيطان لا يتخبطه، ولا يداخله بما يضر عقله أو بدنه، وهذا أقرب". اهـ (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام/ ٣٩٨/١)

وقال بعض أهل العلم: أي لا يضله الشيطان بالكفر، فيخرج من الدينا على التوحيد.

وفي رواية لمسلم:" فَلْيَقُلْ: آمنتُ باللهِ وَرَسُولِه". وفي رواية لأبي داود والنسائي:" فَقولُوا: اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ وَلَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ، ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثلاثًا، وَلِيسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ". وفي رواية للنسائي:" فَلْيَستَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَمِنْ فِتنَتِه ".

الحفظ من الشيطان ليوم كامل:

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال:" كان النبي إذا دخل المسجد قال "أعُوذُ باللهِ العَظِيمِ، وَبوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَبِسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِنْ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ". فإذا قال ذلك، قال الشَّيطانُ:" حُفِظَ مِنِّي سائِرَ اليومِ ".

(قال الأرناؤوط في تحقيقه على زاد المعاد: ١٣٧٠/٢: إسناده صحيح، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتوحات لابن علان: ٤٧/٢)

٣٢– الله تعالى يعطى على الذكر ما لا يُعطي على غيره:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن قالَ في يومٍ مائةَ مرَّةٍ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وَهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كانَ لَهُ عدلُ عشرِ رقابٍ[1]، وَكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حَسنة، وَمُحِيَ عَنهُ مائةُ سيِّئة، وَكُانَتْ لَهُ حِرزًا منَ الشَّيطانِ يَوْمِه ذَلِكَ حَتّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأتِ أحَدٌ بِأفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِه، إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثرَ منْهُ".

وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن صَلَّى الفَجرَ في جَماعةٍ، ثُمَّ قعَدَ يَذكُرُ اللهَ تَعالى حتّى تَطلُعَ الشَّمسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكعَتينِ، كانتْ كأجْرِ حَجَّةٍ وعُمرةٍ، تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ". (صحيح الجامع: ٦٣٤٦)

وأخرج الامام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ".

فالذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل للجهاد في سبيل الله، وتكفير للخطيئات، وكثرة الحسنات.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالكُم، وأَزْكاها عندَ مَليككُم، وأَرفعها في دَرَجاتكُم وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِق، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم؟! قالوا: بَلَى، قال: ذِكْرُ اللهِ ". (صحيح الجامع: ٢٦٢٩) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٩٣)

١- عدلُ عشرِ رقابٍ: أي في ثواب عتقها.

وأخرج البزَّارُ والطَبرَاني عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ عجزَ منكم عنِ اللَّيلِ أن يُكابدَه، وبخلَ بالمالِ أن ينفقَه، وجبنَ عنِ العدوِّ أن يجاهدَه فليُكثر ذِكرَ اللَّهِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٩٦)

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعطي الْمَالَ مَنْ يُحِبَّ وَمَنْ لَا يُحب، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أحبَّ، فَمَنْ ضَنَّ[1] بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فإنهنّ مُقدَّمَاتٌ مُجنِّباتٌ وَهنَّ الباقياتُ الصَّالِحَاتُ"[2]. (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٧١) (الصحيحة: ٢٧١٤)

٣٣- الذكر يجمع للعبد دنياه وآخرته:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سَعْدِ بنْ أَبي وَقَّاص ﷺ قال: جاءَ أَعْرَابي إلى النَبيّ ﷺ فقالَ:" علِّمْني كَلاماً أَقُولُهُ". قالَ:" قُل لاَ إله إلاَّ اللَّه وحدَهُ لا شريكَ لهُ، اللَّه أَكْبَرُ كَبيرًا والحمْدُ للَّه كَثيرًا، وسُبْحانَ اللَّه ربِّ العالمِينَ، ولاَ حولْ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ العَزيز الحكيمِ"، قَالَ هؤلاءِ لِرَبِّي فَما لِي؟ قَالَ: "قُل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحمني، واهْدِني، وارْزُقْني ".

وزاد من حديث أبي مالك الأشجعي:" وعَافِني ".

وَفِي رِوايَةٍ قال:" فإنَّ هؤلاء تَجْمعُ لَكَ دُنْيَاكَ وآخرَتَكَ ".

قوله: اغفر لي: أي استر ذنوبي وتجاوز عن عيوبي، وأصل الغَفْر التغطية، والمغفرة: إلباس الله تعالى العفو للمذنبين.

وقوله: ارحمني: الرحمة هي الرِّقة والعطف.

وقوله: وعافني: العفو: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، فالعفو: محو الذنوب، والعافية: أن تَسْلَم من الأسقام والبلايا.

١- ضَنّ: أي بَخل.

٢- وينبغي أن لا يُفهم من هذا الحديث ونحوه أن الاشتغال بالذكر أفضل من غيره من الأعمال في كل وقت، وفي كل حال، فقد يكون المفضول فاضلًا، وذلك بحسب اختلاف الأوقات والأحوال، ومعرفة تفاضل الأعمال ومناسباته، وهذا باب مهم من الفقه في الدين يؤدي الجهل به أو تجاهله إلى خلل في طريقة التعبد لله تعالى، لكن مما هو مجمع عليه بين العلماء أن ملازمة ذكر الله تعالى دائمًا هو أفضل ما شغل به العبد نفسه في الجملة والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة". (مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠/٦٦٠)

فوقت الصلاة أفضل إذا دخل وقتها، ووقت الجهاد أفضل إذا نُودي حي على الجهاد، وهكذا سائر الأعمال.

– وقال بعض أهل العلم: إن الأعمال الصالحة؛ إما واجبات وإما مستحبات، فأما الواجبات فلا يسدَّها ولا يقوم مقامها شيء، وأما المستحبات فلا شك أن الذكر يسد أبوابها، وعليه يُحمل الحديث.

وقوله: واهدني: وهو سؤال الله تعالى هداية التوفيق، ومَنْ نَالها فقد حازَ وفازَ بخيري الدنيا والآخرة.

وقوله: وارزقني: أي انفعني وهَبْ لِي.

٣٤- أهل الذكر هم أهل الكرم:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي من حديث أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامة: سَيُعْلَمُ أهلُ الجمْعِ من أهلِ الكَرمِ، فقِيلَ: ومَن أهلُ الكَرمِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أهلُ مَجالِسِ الذِّكرِ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٤)

٣٥- أهل الذكر يباهي اللهُ بهم الملائكة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَة من أَصحَابه، فقال:

"مَا أَجْلَسَكُمْ؟" قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ ونَحْمَدُهُ عَلَى ما هَدَانَا للإسْلامِ، ومَنَّ به عَلَيْنَا. قال:" آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إلا ذَلكَ؟" قالوا:" آللهِ مَا أَجْلَسَنَا إلا ذَلكَ". قالَ:" أَمَا إنِّي لَمْ أستَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ولَكِنَّهُ أتَانِي جِبْرَائِيل فَأخبَرَنِي أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ ".

٣٦- الذكر يجعل صاحبه له السَبق في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سَبَقَ المُفَرِّدُونَ[1]"، قالوا: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال:" الذَاكِرونَ اللهَ كثيرًا والذاكرات ".

قال المناوي -رحمه الله- في فيض القدير: سبق المفردون: أي المنفردون المعتزلون عن الناس من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله، أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى.

وأخرج الإمام أحمد والضياء في "المختارة" من حديث عن عبد الله بن شداد أن نَفَرًا من بني عُذْرَةَ ثلاثةً أَتَوُا النبي ﷺ فأسلَمُوا. قال: فقال النبي ﷺ:" مَن يَكْفِيهِم؟" قال طلحة:" أنا" قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بَعثًا، فخرج فيه أحدُهم، فاستُشهِد، قال: ثم بعَثَ بعثًا، فخرج فيهم آخَرُ، فاستُشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة:" فرأيت الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامَهم، ورأيت الذي استُشهِد أخيرًا يليه ورأيت الذي استُشهد أوَّلَهم آخِرَهم" قال:" فدخلني من ذلك" قال:" فأتيت النبي ﷺ

١- المفرِّدون: بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور التشديد، أي الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه، وبقوا هم يذكرون الله، قال ابن الأعرابي: فَرَّد الرجل إذا تفقه، واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

وقال ابن قتيبة وغيره: وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله تعالى. (قاله النووي في شرح مسلم)

فذكرت ذلك له"، قال: فقال رسول الله ﷺ:" وما أنكرتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيسَ أَحَدٌ أفضلَ عند الله من مُؤمنٍ يُعَمَّرُ في الإسلامِ لتسْبيحه، وتَكبيره، وتَهْليله ".

- وفي رواية:" ويُكْثِر تكْبيره وتَسْبيحه وتَهْليله وتَحْميده ". (قال أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده صحيح) (الصحيحة: ٦٥٤)

فالمؤمن إذا مَدَّ الله له في أجله فعمَّرَ أوقاته بالأعمال الصالحة مع كثرة الذِّكر من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، فهذه ترفع درجاته في الجنة حتى ربما ارتفع فوق مقام من سبقه بالشهادة[1].

٣٧- الذكر يغفر الله به الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٣٥)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ في يومٍ مائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ".

وفي رواية:" من قال حين يُمسي وحين يُصبح...". الحديث

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وثَلاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، وقالَ: تَمامَ المائَةِ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطاياهُ وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[2]".

وأخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن تعارَّ من اللَّيلِ فقال حين يستيقظُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، سبحان اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ، ثمَّ دعا ربِّ اغفرْ لي، غُفر له ".

وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشجرة ". (صحيح الجامع: ١٦٠١)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وأبو داود من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذي أطعَمَني هَذا الطَّعامَ ورَزَقَنيه مِنْ غيرِ حَوْلٍ مِنِّي ولا قوةٍ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِه... ". الحديث (صحيح الجامع: ٦٠٨٦)

١- ويدلك على هذا أيضا ما رواه ابن ماجه من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال:" أسلم رجلان من بلي... الحديث".

٢- زَبَدُ البحر: أي رَغْوَتُه، وقوله (وإن كانت مثل زبد البحر): أي في الكثرة والعظمة مثل زبد البحر، وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه وتموجه.

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" مَن جلسَ مجلسًا فَكَثرَ فيه لغطُهُ، فقالَ قبلَ أن يقومَ من مجلسِه ذلكَ: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلَّا غُفرَ لَهُ ما كانَ في مجلسِه ذلكَ ". (صحيح الجامع: ٦١٩٢) (صحيح الترمذي: ٣٤٣٣) (صحيح الترغيب والترغيب: ١٥١٦)

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ما جَلَسَ قَومٌ يَذكُرونَ اللهَ تعالى إلَّا ناداهم مُنادٍ مِنَ السَّماءِ: قُوموا مَغفورًا لكم ". (صحيح الجامع: ٥٦٠٩)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما مِنْ قومٍ اجتَمعوا يذْكُرونَ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُريدُونَ بذلك إلَّا وجْهَهُ إلَّا ناداهُم مُنادٍ من السَّماءِ أن قوموا مغفورًا لكم قد بُدِّلتْ سيِّئاتُكم حسناتٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٤)

وعند الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن سهل بن الحنظلية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
"ما جلَسَ قومٌ (مجلسًا) يذْكُرونَ اللهَ تعالى فيقومونَ حتَّى يُقالَ لهم: قوموا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذنوبَكُمْ، وبُدِّلَتْ سيئاتُكُمْ حسناتٍ ". (الصحيحة: ٢٢١٠) (صحيح الجامع: ٥٦١٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٦)

وفي رواية:" ما اجتمع قومٌ على ذِكرٍ فتفرَّقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مَغفورًا لكم". (صحيح الجامع: ٥٥٠٧)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث عبد الله عن عمرو –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" ما علَى الأرْضِ أحدٌ يَقولُ: لاَ إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّةَ إلَّا باللَّه، إلَّا كُفِّرَت عنهُ خطاياهُ وَلوْ كانت مثلَ زبدِ البحرِ ". (صحيح الجامع: ٥٦٣٦)

ورواه الحاكم بزيادة وفيه:" ما على الأرض أحدٌ يقول: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلاَ إله إلاَ اللهِ... الحديث ". (صحيح الترمذي: ٣٤٦٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٦٩)

أخرج البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجلٌ بدويٌّ إلى رَسول الله ﷺ فقال:" يا رسول الله عَلمني خَيْرًا". قال:" قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبَرُ"، قال: وعَقَدَ بيده أَرْبَعًا، ثُمَّ ذَهَبَ. فقالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمَّا رآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبسَّم، وَقَالَ:" تَفكَّرَ الْبَائسُ" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، هَذَا كُلُّهُ للهِ فَمَا لِي؟ فَقال رسُول اللهِ ﷺ:" إذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ. قالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإذَا قُلْتَ: الحمدُ للهِ، قَال اللهُ: صَدَقْتَ، وَإذَا قلْتَ: لا إلهَ إلا اللهُ، قالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وإذا قلتَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ فَتَقُولُ: اللَّهُمَ اغْفِرْ لِي، فَيَقُولُ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ. فَتَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْحَمني، فَيَقُولُ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، فَيَقُولُ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ". قالَ: فَعَقَدَ الأَعْرابِيُّ سَبْعًا فِي يَدِهِ". (صحيح الترغيب: ١٥٦٤) (الصحيحة: ٣٣٣٦)

وأخرج الطبراني في الكبير عن سلمى أم بني أبي رافع –رضي الله عنها– مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أنها قالَتْ: يَا رسولَ اللهِ أَخْبِرني بِكَلِمَاتٍ، وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ؟ فقال:" قُولِي: اللهُ أَكْبَرُ عَشْرَ مَرَّات. يَقُولُ اللهُ: هَذَا لِي، وَقُولِي: سُبْحَانَ اللهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ اللهُ: هَذَا لِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ، فَتَقُولِينَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَيَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٦٦)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" إنَّ للَّه مَلائكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، قالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وهو أعْلَمُ بِهِمْ مَا يَقولُ عِبادِي؟ قالوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قالَ: فَيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فَيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوْكَ، قالَ: فَيَقولُ: كَيْفَ لوْ رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا، قالَ: فَيَقولُ: فَما يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: فَيَقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأَشَدَّ لها طَلَبًا، وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ قالَ: فيقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ منْها فِرارًا، وأَشَدَّ لها مَخافَةً، قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لحاجَةٍ، قالَ: هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

وعند الإمام مسلم بلفظ:" إنَّ للَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

وقفة:

ومما يدل على فضل الذكر ومكانته: أن الله تعالى توعَّد كل من جلس مجلسًا ولم يذكر الله فيه.

فقد أخرج الترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَا جَلسَ قومٌ مجلِسًا لم يذكُروا اللهَ فيه ولم يُصلُّوا على نبيِّهم إلَّا كان عليهم ترةٌ[1] فإنَّ شاءَ عذَّبَهم وإن شاءَ غفرَ لَهم ". (صحيح الترمذي:٣٣٨٠) (الصحيحة:٧٤)

ورواه أبو داود والإمام أحمد بلفظ:" مَنْ قَعَدَ مَقْعدًا لَمْ يذكرِ اللهَ فيه؛ كَانَ عليه مِنْ اللهِ تِرَةٌ وَمَنْ اضطجع مضجعًا لا يذكرِ اللهَ فيه؛ كَانتْ عليه من اللهِ تِرَةٌ[2]. وَما مَشَى أحدٌ مَمْشًى لم يذكرِ اللهَ فيه؛ إلا كان عليه من اللهِ تِرَةٌ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥١٢)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ ﷻ فيه، وَيُصَلُّون عَلَى النبيِّ إلا كَانَ عَلَيْهِم حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وإن دَخَلُوا الجَنَّةَ لِلثَّوابِ ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٥١٣)

وأخرج أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا مِنْ قَومٍ يَقومونَ من مَجلِسٍ، لا يَذكُرونَ اللهَ فيه إلَّا قاموا عَنْ مِثلِ جِيفةِ حِمارٍ، وَكَانَ عَلَيْهِم حَسْرةً يومَ القِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:٥٧٥٠) (الصحيحة:٧٧)

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن مُغَفَّل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما منْ قومٍ اجتَمعوا في مجلسٍ فتَفرقوا ولم يذكُروا اللهَ، إلا كانَ ذلك المجلِسُ حسَرةً عليْهِم يومَ القيامةِ ". (الصحيحة:٢٥٥٧)

كل هذه الأحاديث تدلك على أهمية الذكر وفضل الصلاة على النبي ﷺ وتبين لك أن المجالس التي تخلو من ذكر الله كمثل قوم كانوا جلوسًا على جيفة حمار ميت، فكما أن النفس البشرية تنفر من هذا المشهد لشناعته، وتقشعر الجلود لفظاعته، فهو أمر شديد على النفس، فكذلك لا يتصور أن يخلو مجلس من المجالس عن ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ.

١- ترة: أي حسرة وندامة.

٢- الترة: بكسر التاء المثناة فوق، وتخفيف الراء: هي النقص، وقيل: التبعة.

٣٨- الذكر يكتب الله به الحسنات:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ فَقالَ":أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يومٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟" فَسَأَلَهُ سَائِلٌ من جُلَسَائِه: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قالَ:" يُسَبِّحُ مائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْه أَلْفُ خَطِيئَةٍ".

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة –رضي الله عنهما– قالا: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ الكَلامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. فَمَنْ قال: سُبحانَ اللهِ كُتِبَتْ لهُ عِشرُونَ حسنَةً، وَحُطَّتْ عنهُ عِشرُونَ سيِّئَةً. ومَنْ قالَ: اللهُ أكْبرُ، مثلَ ذلكَ. ومَنْ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ مثلَ ذلكَ، ومَنْ قالَ: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لهُ ثلاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّ عنْهُ ثلاثُونَ خَطِيئَةً ". (صحيح الجامع: ١٧١٨)

٣٩- الذكر سبب للنجاة من عذاب الله:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عملًا قَطُّ أنجى له مِن عَذابِ اللهِ مِن ذِكرِ اللهِ ". (صحيح الجامع: ٥٦٤٤) (صحيح الترغيب والترهيب:١٤٩٣)

ورواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا عمل آدميٌّ عَملًا أنْجَى لهُ مِنَ العذابِ مِنْ ذِكرِ اللهِ"، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قَالَ:" وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَن يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٤٩٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت قال رسول الله ﷺ:" إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ من بَنِي آدَمَ على ستِّينَ وثلاثِ مائةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تلكَ الستِّينَ والثَّلاثِ مائةِ السُّلامَى – فإنَّه يَمْشِي يومَئِذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ". قال أبو توبة: وربما قال:" يُمْسِي".

وأخرج النسائي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خُذُوا جُنَّتَكم[١]مِنَ النَّارِ، قولُوا سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلهَ إلَّا اللهُ، وَاللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القِيامةِ مُقدِماتٍ[٢]، وَمُعَقِّباتٍ[٣]، وَمُجَنِّباتٍ[١] وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَالِحَاتُ[٢]". (صحيح الجامع:٣٢١٤)

١- جنتكم: بضم الجيم وتشديد النون، أي: ما يستركم ويقيكم من النار.

٢- مقدمات: أي يتقدمن صاحبها يوم القيامة.

٣- معقبات: بكسر القاف المشددة، أي: تتعقبكم وتأتي من ورائكم، ويحتمل أن يكون بفتح القاف ومعناه تعقبوهن يوم القيامة في الإتيان. واتلوهن؛ وقيل: هنَّ كلمات يأتي بعضها عقب بعض.

وفي رواية الحاكم:" مُنْجِيَات" بتقديم النون على الجيم.

وكذا رواه الطبراني في الأوسط، وزاد:" وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ".

ورواه في الصغير وجمع بين اللفظين، فقال:" وَمُنْجِيَات، وَمُجَنِّبات ".

قال ابن القيم–رحمه الله– كما في "الوابل الصيب ص١٠٩":"الذِّكرُ سدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق لعمل من الأعمال؛ كان الذكر سدًّا في ذلك الطريق، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملًا كان سدًّا محكمًا لا مَنفَذ فيه ". اه

قال الرازي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩، ١٨٠)

فقال–رحمه الله–:"إنَّ المُوجِبَ لدُخُول جَهَنَّمَ هو الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّه تَعَالَى، والمُخَلِّصُ عَنْ عَذاب جَهَنَّمَ هُوَ ذِكْرُ اللَّه تَعالى، وَأَصْحابُ الذَّوْق والمُشاهَدَة يَجِدُونَ من أَرْواحِهِمْ أَنَّ الأَمْرَ كَذَلِكَ فَإِنَّ القَلْبَ إِذا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّه، وأَقْبَلَ عَلى الدُّنْيا وَشَهَواتِها، وَقَعَ في بابِ الحِرْصِ وزَمْهَرِيرِ الحِرْمان، ولا يَزالُ يَنْتَقِلُ من رَغْبَةٍ إلى رَغْبَة، وَمن طَلَبٍ إلى طَلَب، وَمن ظُلْمَةٍ إلى ظُلْمَة، فَإِذا انْفَتَحَ عَلى قَلْبِهِ بابُ ذِكْرِ اللَّه ومَعْرِفَةِ اللَّه تَخَلَّصَ مِنْ نِيرانِ الآفاتِ وَمِنْ حَسَراتِ الخَسارات، واسْتَشْعَرَ بِمَعْرِفَةِ رَبِّ الأَرْضِ والسَّماوات".

٤٠– الذكر أمان من الحسرة يوم القيامة:

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" مَنْ قَعَد مَقعدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فيه؛ كان عَليه مِنْ اللهِ تِرَةٌ، ومَنْ اضطَجَعَ مُضَّجَعًا لا يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَت عَلَيه مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَا مَشَى أَحدٌ مَمْشًى لِمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ إِلَّا كَان عَلَيه مِنَ اللهِ تِرَةٌ ". (صحيح الجامع:٦٤٧٧) (الصحيحة:٧٨) (صحيح الترغيب والترهيب:٦١١)

وفي رواية:" مَنْ اضطَجَعَ مُضَّجَعًا لم يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ كَانَ عَلَيه تِرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لم يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ كَانَ عَلَيه تِرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:٦٠٤٣)

وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ:" مَا جَلَسَ قَوْمٌ مُجْلِسًا، فَلَمْ يَذْكُروا اللهَ فيه، إلا كَان عليهم ترةً، وما مِنْ رَجلٍ مَشَى طَرِيقًا، فَلَم يَذكُر اللهَ عز وجل إلَّا كانَ عليه ترةً، وما مِنْ رَجُلٍ أوى إلى فِراشِه، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ، إلَّا انَ عليه ترةً ". (الصحيحة: ٧٩)

١- مجنبات: بتشديد النون وفتحها: أي مقدمات بين أيديكم يوم القيامة.

٢- الباقيات الصالحات: أي التي تنفع صاحبها بعد موته، فهي باقية لصاحبها في المعاد وحين الحاجة.

وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث مُعاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" لَيْسَ يَتحَسَّر أَهْلُ الجَنَّةِ إلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالى فِيهَا[1]". (صحيح الجامع: ٥٤٤٦) (الصحيحة:٢١٩٧)

وأخرج البيهقي من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنها سَمِعَتْ رسول الله ﷺ يقول:" مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بابن آدَمَ لَمْ يَذْكُر اللهَ فِيهَا بِخَيرٍ إلا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:٥٧٢٠) (قال البيهقي:" في هذا الإسناد ضعفٌ غير أن له شواهدَ من حديث مُعاذ).

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" ما مِنْ قومٍ يقومون مِنْ مَجْلِسٍ لا يذكرونَ اللهَ فيه؛ إلا قاموا عَنْ مِثْلِ جيفةِ حِمارٍ، وكان لهم حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:٥٧٥٠) (الصحيحة:٧٧)

قال عمر بن عبد الله –رحمه الله– مولى غفرة بنت رباح –أخت بلال–:" إِذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ للنَاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ، لَمْ يَرَوْا أَفْضَلَ مِنَ الذِّكْرِ، فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَقْوَامٌ فَيَقُولُونَ: مَا كَانَ شَيءٌ أَيْسَرَ عَلَيْنَا مِنَ الذِّكرِ".

٤١– الذكر يثقل الموازين:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الميزانِ: سُبْحانَ اللّهِ وبِحَمْدِه، سُبْحانَ اللّهِ العَظِيمِ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الطُّهورُ[2]شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللّهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ تَمْلَآنِ –أَوْ: تَمْلَأُ– مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ".

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بَخٍ بَخٍ[3] لَخَمسٍ ما أَثقلَهُنَّ في الميزانِ؛ لا إله إلَّا اللهُ، وَسبحانَ اللهِ، وَالحمدُ للهِ، وَاللهُ أكبرُ، والوَلَدُ الصَّالحُ يُتَوَفَّى لِلمرءِ المسلمِ فَيحتسِبُه ". (صحيح الجامع:٢٨١٧) (الصحيحة:١٢٠٤)

١- تردد الشيخ الألباني رحمه الله في صحة هذا الحديث فقال: في صحيح الجامع: هو أقرب إلى الضعف". اهـ. وهو بالفعل إلى ضعفه أقرب.

٢– الطُّهورُ: بضم الطاء: يعني الطهارة.

٣– بَخٍ بَخٍ: كلمة تُقال لتعظيم الأمر وتفخيمه وبيان الرضا به، وتُكرر للمبالغة. (النهاية في غريب الحديث: ١٠١/١)

٤٢- أهل الذكر في ظل عرش الرحمن:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبادَةِ اللَّه، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِد، ورَجُلَان تَحَابَّا في اللَّه اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِب وجَمَال، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ[1]".

فالشاهد من الحديث قول النبي ﷺ:" ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

٤٣- الذكر سبيل للفوز بالجنة:

فقد أخرج أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قَالَ رَضِيتُ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وَبِمُحمدٍ ﷺ نبيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة ". (صحيح الجامع:٦٤٢٨)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قلتُ: يَا رسولَ اللهِ: ما غَنِيمة مَجَالسِ الذِّكْرِ؟ قال:" غَنِيمة مَجَالسِ الذِّكرِ الجَنَّة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٧) (الصحيحة:٣٣٣٥)

٤٤- الذكر غراس الجنة:

فقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أسريَ بي فقالَ: يا محمَّدُ أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذبَةُ الماءِ وأنَّها قِيعانٌ[2]وأنَّ غِراسَها سبحانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، ولا إلهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أكبرُ".(صحيح الجامع:٥١٥٢) (الصحيحة:١٠٥)

ورواه الطبراني عن سَلْمَان ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ في الجَنَّة قيعانًا؛ فأكثِروا من غراسِها". قالوا يا رسولَ اللهِ وما غراسُها؟ قال:" سُبحانَ اللهُ والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ".

١- قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في "فتح الباري:٢/١٧٢":" وقوله ﷺ: (ورجل ذكر الله) أي بقلبه فيكون من (التذكر) أو ذكره بلسانه فيكون من (الذكر)، وقوله: (خاليًا) أي من (الخُلُوّ) لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء. وقوله: (ففاضت عيناه): أي فاضت الدموعُ من عينيه".

– قال القرطبي – رحمه الله: وفيض العين بحسب حال الذاكر، وبحسب ما يُكشَفُ له: ففي حالِ أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه.

– قال الحافظ ابن حجر: قد خُصَّ في بعض الروايات بالأول (أي البكاء من خشية الله). اهـ

٢- قيعان: بكسر القاف، جمع قاع، وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر (قاله صاحب تحفة الأحوذي)، وقال ابن الأثير: القاع: المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء ليمسكه ويستوي نباته. (النهاية في غريب الحديث:٤/١٣٢)

وأخرج ابن ماجه والحاكم أن النبي ﷺ مرَّ بأبي هريرة ﷺ وهو يغرس غرسًا فقال:" يا أبا هريرةَ ما الذي تغرسُ؟" قلتُ: غراسًا لي، قال:" ألا أدلُّكَ على غراسٍ خيرٌ لك من هذا؟" قال: قلت: بلى يا رسولَ الله، قال:" قل سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، يُغرسُ لك بكلِّ واحدةٍ شجرةٌ في الجنة ". (صحيح الجامع:٢٦١٣)

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وبِحَمْدِه، غُرِسَت لَه نَخْلَةٌ في الجَنَّة ". (صحيح الجامع:٦٤٢٩)

أخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به مرَّ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال:" من معك يا جبريل؟" قال:" هذا محمد"، فقال له: يا محمد مُرْ أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تُربتها طَيِّبَةٌ، وأرضُهَا واسِعَة، قال ﷺ:" وَمَا غِرَاسُ الجَنّة؟" قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٥٨٣)

وعند الطبراني من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" أَكثِروا من غِراسِ الجَنَّة؛ فإنه عَذبٌ ماؤها، طَيِّبٌ ترابُها، فأَكثِروا من غِراسِها". قالوا: يا رسولَ اللهِ! وما غراسُها؟ قال:" مَا شَاءَ اللهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا بِاللهِ ". (صحيح الجامع: ١٢١٣)

٤٥– أهل الذكر لهم مكانة عند الله يضبطهم عليها النبيون والشهداء:

فقد أخرج الطبراني من حديث عَمْرِو بن عَبَسَة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" عَنْ يمينِ الرحمنِ، وكلْتا يديْه يمينٌ؛ رجالٌ ليسوا بأنبياءَ، ولا شُهَدَاءَ يَغْشَى بياضُ وجُوههمْ نظرُ الناظرينَ، يَغْبِطُهُمُ النبيونَ والشهداءُ، بمَقْعَدهمْ وقُرْبِهِمْ منَ اللهِ ﷻ". قيلَ: يا رسولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قال:" هَمْ جُمَّاعٌ[1] منْ نوازعِ القبائلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ، فينتقونَ أطايبَ الكلَامِ، كما يَنْتَقِي آكلُ التَّمْرِ أطايبَهُ ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٥٠٨)

وأخرج الطبراني أيضا من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَيَبْعَثَنَّ اللهُ أَقْوَامًا يَوْمَ القِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِم النُّورُ عَلَى مَنَابِرَ اللُّؤْلُؤِ يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بأنبياء، وَلا شُهَدَاءَ". قال: فَجثَا أعرابي عَلى رُكْبَتيه، فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حِلَّهُمْ لَنا نعرِفْهُمْ؟ قالَ:" هُمُ المُتَحَابُّون فِي اللهِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكر اللهِ يَذْكُرُونَهُ ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٥٠٩)

والناس بالنسبة للذكر صنفان: صنف يذكر الله ومقصده اكتساب الأجور، وآخر يذكر الله ومقصده القرب والحضور، وما بين الصنفين كما بين السماء والأرض، ففارق بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يكون من خواص الأحباب عند الملك الوهاب، يغبطهم الناس بمكانتهم.

١- جماعٌ بضم الجيم، وتشديد الميم، أي: أخلاط من قبائل شتى، ومواضع مختلفة ونوازع جمع نازع، وهو الغريب؛ ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم، ولا نسب، ولا معرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غير.

أخي الحبيب... من خلال ما سبق يظهر لك جليًّا فضل وفوائد الذكر، وهنا تدرك قول النبي ﷺ عندما قال: "سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ". قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ".

فأهل الذكر لهم السبق في الدنيا والآخرة. (رواه مسلم)

وأختم بأبيات شعر للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله– حيث قال:

وَكُنْ ذَاكِرًا لله فِي كُلِّ حَالَة ... فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتٌ مُقَيَّدُ
فَذِكْرُ إِلهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا ... يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلًا ... وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يومًا يُشَرِّدُ
فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ ... بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
وَوَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ ... عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ
وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ ... وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
بِأَنْ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هَذِهِ ... تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَالْمَسَاكِنُ تُمْهَدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ ... وَمَعْهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ ... وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلَّدُوا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ ... طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ
وَيَنْهَى الْفَتَى عَنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ ... وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ
لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ ... بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ نِعْمَ الْمُوَحَّدُ
وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا ... كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

وأخيرا أناديكم بنداء رب العالمين حيث قال في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد:١٦)

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– في كتابه "الوابل الصيب من الكلم الطيب" فوائد كثيرة لذكر الله:

إحداها: أنه يَطردُ الشيطانَ ويَقْمعُه ويكسرُه.

الثانية: أنه يُرضي الرحمنَ عز وجل.

الثالثة: أنه يُزيلُ الهمَّ والغمَّ عن القلب.

الرابعة: أنه يجلبُ للقلب الفرحَ والسرور.

الخامسة: أنه يُقوِّي القلبَ والبدن.

السادسة: أنه ينوِّرُ الوجهَ والقلب.

السابعة: أنه يجلبُ الرزقَ.

الثامنة: أنه يكسو الذاكرَ المهابةَ والحلاوةَ والنضرة.

التاسعة: أنه يورِّثه المحبةَ التي هي قُطبُ رَحى الإسلام.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة، حتى يُدخِلَه في باب الإحسان.

الحادية عشرة: أنه يورِّثُه الإنابةَ، وهي الرجوعُ إلى الله عز وجل.

الثانية عشرة: أنه يورِّثه القُربَ منه، فعَلى قَدْرِ ذِكره لله يكونُ قُربُه منه.

الثالثة عشرة: أنه يَفتحُ له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يورِّثُه الهيبةَ لربه ﷻ وإجلالَه.

الخامسة عشرة: أن يورِّثه ذِكرَ الله تعالى له، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلًا وشرفًا.

السادسة عشرة: أنه يورِّثُ حياةَ القلب. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**:" الذكرُ للقلب مِثلُ الماءِ للسمك، فكيف يكون حالُ السمك إذا فارق الماءَ؟".

السابعة عشرة: أنه قوتُ القلب والروح، فإذا فَقَده العبدُ؛ صار بمنزلة الجسم إذا حِيل بينه وبين قُوتِه.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية يُصلِّي الفجر، ثم يجلسُ يَذكُر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم يلتفتُ إلى شيخ الإسلام ابن القيم قائلا:" هذه غدوتي، لو لم أتغدَّ الغداء؛ سقطت قوتي".

الثامنة عشرة: أنه يورِّث جلاءَ القلبِ من صداه.

التاسعة عشرة: أنه يَحُطُّ الخطايا ويُذهبُها، فإنه من أعظم الحسنات.

العشرون: أنه يُزيل الوحشةَ بين العبد وبين ربه.

الحادية والعشرون: أن ما يَذكرُ به العبدُ ربَّه من جلاله وتسبيحه، وتحميده يَذكُر بصاحبه عند الشدة.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرَّف إلى الله تعالى بذكره في الرَّخاءِ، عَرَفَهُ في الشِّدة.

الثالثة والعشرون: أنه يُنجِي من عذاب الله تعالى.

الرابعة والعشرون: أنه سببُ تنزيلِ السكينة، وغَشَيانِ الرحمة، وحفوف الملائكة.

الخامسة والعشرون: أنه سببُ اشتغالِ اللسان عن الغِيبة والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل.

السادسة والعشرون: أن مجالسَ الذكرِ مجالسُ الملائكة، ومجالسَ الغفلة مجالسُ الشياطين فليتخيَّرِ العبدُ أعجبَهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون: أنه يُسعدُ الذاكرَ بذكره، ويَسعَدُ به جليسُه، وهذا هو "المبارَك" أينما كان.

الثامنة والعشرون: أنه يُؤمِّنُ العبدَ من الحَسْرَة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخَلوة سببٌ لإظلالِ الله تعالى العبد يوم الحرِّ الأكبر في ظل عرشه.

الثلاثون: أن الاشتغال به سببٌ لعطاءِ الله للذاكرِ أفضلَ ما يُعطي السائلين.

الحادية والثلاثون: أنه أَيسرُ العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

الثانية والثلاثون: أنه غِراس الجنة.

الثالثة والثلاثون: أنَّ العطاء والفضل الذي رُتِّب عليه لم يُرتَّبْ على غيره من الأعمال.

الرابعة والثلاثون: أن دَوام ذكرِ الله ﷻ يُوجِبُ الأمانَ من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد.

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يُسيِّرُ العبدَ وهو في فراشه، وفي سُوقه، وفي حال صحته وسقمه وليس شيءٌ يعمُّ الأوقاتَ والأحوالَ مثلَه، حتى إنه يُسيِّر العبدَ وهو نائم على فراشه، فَيسبقُ القائمَ مع الغفلة.

السادسة والثلاثون: أن الذكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معادِه ويسير بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوبُ والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأسُ الأصول، ومنشورُ الولاية، فمَن فُتح له فيه؛ فقد فُتح له بابُ الدخول إلى الله ﷻ فلْيَتطهرْ، ولْيَدخلْ على ربه ﷻ يجدْ عنده كل ما يريد.

الثامنة والثلاثون: في القلب خُلَّةٌ وفاقةٌ لا يَسُدُّها شيءٌ ألبته إلا الذكر.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يُجَمِّعُ المتفرق، ويُفرِّقُ المجتمع، ويُقَرِّبُ البعيد، ويُبعِّد القريب. يجمعُ ما تَفَرَّقَ على العبد من قلبه وإرادته، وهمومه، وعُزومِه، ويفرِّقُ ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، وذنوبه، وخطاياه، وأوزاره، وما اجتمع عليه من جُندِ الشيطان، ويُقَرِّبُ إلى الآخرة، ويُبعد عنه الدنيا.

الأربعون: الذكر يُنبِّهُ القلبَ من نومه، ويُوقِظُه من سِنَتِه، فالغفلة نومٌ ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرةٌ تُثمرُ المعارفَ والأحوالَ التي شَمَّر إليها السالكون.

فالذكر يُثمرُ المقاماتِ كلَّها من اليقظةِ إلى التوحيد، وهو أصلُ كلِّ مقامٍ، وقاعدتُه.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريبٌ من مذكوره، ومذكورُه معه، وهذه المعيَّةُ خاصةٌ، فهي معيَّةٌ بالقرب، والولاية، والمحبة، والنُّصرة، والتوفيق.

الثالثة والأربعون: أن لا ذكر يعدِلُ عِتقَ الرقاب، ونفقة الأموال، والحملَ على الخيل في سبيل الله، ويعدلُ الضربَ بالسيف في سبيل الله ﷻ.

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى مَن لَمْ يذكره.

الخامسة والأربعون: أن أكرمَ الخلقِ على الله تعالى من المتَّقين مَنْ لا يزال لسانُه رَطْبًا بذكره.

السادسة والأربعون: أن في القلب قَسوةٌ لا يُذيبُها إلا الذكر.

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه. **قال مكحول**:" ذكر الله تعالى شفاء، وذكرُ الناس داء".

إذا مَرِضْنا تداوَيْنا بذِكرِكُمُ ... ونتركُ الذِّكرَ أحيانًا فننتكسُ

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصلُ موالاةِ الله ﷻ ورأسُها. **قال حسَّان بن عطية**:" ما عادى عبدٌ ربه بشر أشد عليه من أن يكرَه ذكره أوْ من يذكره".

التاسعة والأربعون: الذكر جلاب للنعم، رافع للنقم.

الخمسون: أن الذكر يُوجبُ صلاة الله ﷻ وملائكته على الذاكر، ومَن صلى الله تعالى عليه وملائكته، فقد أفلح كلَّ الفلاح.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ **(الأحزاب: ٤١ – ٤٣)**

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكُنَ رياضَ الجنةِ في الدنيا، فليستَوطنْ مجالسَ الذكر، فإنها رياضُ الجنة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:
" يَا أيّهُا النَّاسُ! ارْتَعوُا فِي رِيَاضِ الجَنّة". قلنا: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟ قال:" مَجَالِسُ الذِّكرِ"، ثم قال:" اغْدُوا ورُوحوا واذكُروا، فَمَنْ كان يُحبُّ أن يَعلمَ منزلته عند الله، فلينظُرْ كيفَ منزلةُ اللَّهِ ﷻ عندَهُ، فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُنزِلُ العبدَ منهُ حيثُ أنزلَهُ من نَفسِهِ". (رواه الحاكم في المستدرك)

الثانية والخمسون: أنَّ الله ﷻ يُباهي بالذاكرين ملائكته.

الثالثة والخمسون: أنَّ مُدمِن الذكرِ يَدخلُ الجنةَ وهو يضحك.

الرابعة والخمسون: أنَّ جميع الأعمال إنما شُرعت لإقامة ذكر الله.

الخامسة والخمسون: أنَّ أفضل أهل كل عملٍ أكثرُهم فيه ذكرًا لله ﷻ، فأفضل الصُّوام أكثرُهم ذكرا لله في صومهم.

السادسة والخمسون: أنَّ إدامته تنوبُ عن التطوعات وتقومُ مقامها، سواء كانت بدنيةً، أو ماليةً كحج التطوع، كما في حديث:" **ذهب أهلُ الدثورِ بالأجُور...**".

السابعة والخمسون: أنَّ ذكر الله من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها للعبد، ويُسهِّلها عليه ويُلذِّذُها له.

الثامنة والخمسون: أنَّ ذكرَ الله ﷻ يُسهِّل الصعبَ، ويُيَسِّرُ العسير، ويُخفف المشاقَّ ويُفرِّجُ الغمَّ والهم.

التاسعة والخمسون: أنَّ ذكر الله ﷻ يُذهبُ من القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.

الستون: أنَّ الذكر يُعطي الذاكرَ قوةً، حتى إنه لَيفعلُ مع الذكر ما لم يَظنُّ فعله بدونه.

وقد عَلَّمَ النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليا –رضي الله عنهما– أن يُسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويَحمَدَا ثلاثًا وثلاثين، ويُكبِّرا أربعًا وثلاثين، لما سألته الخادمَ وشَكَتْ إليه ما تُقاسيه من الطَّحنِ والسَّعيِ والخِدمة، فعلَّمها ذلك **وقال:" إنه خير لكما من خادم". (والحديث عند البخاري ومسلم)**

الحادية والستون: أنَّ عُمَّال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار.

الثانية والستون: أنَّ الذكر سبب لتصديق الرب عبده، فإنه أخبر عن الله تعالى، بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالى لم يُحشر مع الكاذبين ورُجي له أن يُحشر مع الصادقين.

روى أبو إسحاق عن الأغرِّ أبي مسلم شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما– أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنَّه قال:" إِذَا قَالَ الْعَبْدُ:" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ"، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:" صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ". وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ"، قَالَ:" صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي". وَإِذَا قَالَ:" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وحده لا شريك له، قال: صدق عبدي، لاإله إلا أنا، ولا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ"، قَالَ:" صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، لِيَ الْمُلْكُ، وَلِيَ الْحَمْدُ". وَإِذَا قَالَ:" لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ"، قَالَ:" صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي".

قال أبو إسحاق: ثم قال الإغرُّ شيئًا لم أفهمه، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال:" **مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ**".

(رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان بسند صحيح)

الثالثة والستون: أنَّ دُور الجنة تُبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكرُ عن الذكر أمسكت الملائكةُ عن البناء.

الرابعة والستون: أنَّ الذكرَ سدٌّ بين العبد وبين جهنم.

الخامسة والستون: أنَّ الملائكة تستغفر للذاكر.

السادسة والستون: أنَّ الجبالَ والقفارَ تَتباهى وتَستبشرُ بمن يَذكرُ الله عليها.

السابعة والستون: أنَّ كثرةَ ذكرِ الله أمانٌ من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ.. **قال تعالى في شأنهم:** ﴿**وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ **(النساء:١٤٢)**

الثامنة والستون: أنَّ للذكر من بين الأعمال لذةٌ لا يُشبهها شيء. **قال مالكُ بن دينار:**" ما تلذَّذ المتلذِّذون بمثلِ ذكرِ الله ﷻ".

التاسعة والستون: أنَّه يكسُو العبدَ نُضرة في الدنيا، ونورًا في الآخرة.

السبعون: أنَّ في دوامِ الذكر في الطريق، والبيت، والحَضَر، والسفر، والبِقاع، تكثير لشهود العبدِ يوم القيامة، فإن البُقعةَ، والدارَ، والجبلَ، والأرضَ، تشهدُ للذاكر يوم القيامة.

والذاكر لله ﷻ في سائر البقاعُ مكثِّرٌ شهودَه، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة، يومَ قيام الأشهاد، وأداء الشهادات، فيفرحُ ويَغتبطُ بشهادتهم". اه **(ملخصًا من "الوابل الصيب" لابن القيم – رحمه الله).**

وهناك العديد والعديد من فضائل وفوائد الذكر والتي لا تنتهي إلى حَدٍّ، ولا تقف عند عَدٍّ.

فاللهم أحيي بالذكر قلوبًا أعيتها الذنوب، وقوِّ به أبدانًا أنهكتها الشهوات، واشفي به أنفسًا أضاعتها الأهواء واجعله قائدًا للجنة يسوق القلوب نحو علام الغيوب في دار كرامته، ومواطن أوليائه.

ثالثًا: أقوال للسلف عن الذكر وفضله

١- قال عمر ﷺ: عليكم بذكر الله، فذكر الله شفاء، ذكر الله دواء، ذكر الله قوة، وإياكم وذكر الناس، فذكر الناس داء".

٢- قال عبد الله بن مسعود ﷺ: في قوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال:" أن يُطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر". **(رواه ابن أبي شيبة)**

٣- وكان بلال ﷺ كلما عذَّبه المشركون في الرمضاء على التوحيد فيقول:" أحدٌ أحدٌ" فإذا قالوا له قل:" واللات والعزى" قال: لا أحسنه". **(رواه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي في الدلائل بسند حسن)**

٤- وكان أبو هريرة ﷺ يُكثِر من التسبيح ويقول:" أدفع ديتي وأشتري نفسي رجاء أن أُعتق من النار". **(سير أعلام النبلاء للذهبي:٢/٦١٠)**

٥- قالت أم الدرداء -رضي الله عنها-:" قد طلبت العبادة بكل شيء فما وجدتُ شيئًا أشْفَى لصدري ولا أحرى أن أدرك ما أريد من ذكر الله تعالى". **(حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ٤/٢٤١)**

٦- وكان خالد بن معدان-رحمه الله-: يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات وُضعَ على سريره ليغسل، فجعل يشير بأصبعه يُحركها بالتسبيح". **(حلية الأولياء لأبي نعيم: ١/٣٨٣)**

٧- وقال الربيع بن أنس -رحمه الله- عن بعض أصحابه:" علامةُ حبِّ الله كثرةُ ذكره، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره". **(جامع العلوم والحكم ص٦٦٧)**

٨- وقيل لعمير بن هانئ-رحمه الله-: ما نرى لسانك يَفْتر، فكم تسبح كل يوم؟ قال: مائة ألف تسبيحة، إلا أن تخطئ الأصابع يعني أنه يعد ذلك بأصابعه ". **(البيهقي في الشعب ٧١٩ وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٥/١٥٧)**

٩- ونام بعضهم عند إبراهيم بن أدهم فقال:" كنتُ كلما استيقظت من الليل وجدته يذكر الله فأغتمّ، ثمَّ أُعزِّي نفسي بهذه الآية: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾". **(المائدة:٥٤)**

١٠- وقال فتح الموصلي -رحمه الله-:" المُحِبُّ لله لا يغفُلُ عن ذكر الله طرفة عين". **جامع العلوم والحكم ص٧٦٨)**

١١- وقال أبو جعفر المحوَّلي-رحمه الله-:" وليٌّ الله المُحِبُّ لله لا يخلو قلبه من ذكر الله، ولا يسأمُ من خدمته".(**جامع العلوم والحكم ص٧٦٨**)

١٢- وكان عامةُ كلام ابن سيرين -رحمه الله-:" سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده ".

١٣- وقال الربيع بن خثيم -رحمه الله-:" أقلل الكلام إلا من تسعٍ: تكبير، وتهليل، وتسبيح، وتحميد وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن ".

١٤- فقال مجاهد -رحمه الله-:" من استطاع ألَّا يبيت إلا طاهرًا ذاكرًا مستغفرًا، فليفعل، فإن الأرواح تبعث على ما قُبضتْ عليه".

١٥- وقال أبو سليمان الداراني -رحمه الله-:" ما يسرني أن لي من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البرِّ وأني أغفل عن الله طرفة عين ".

١٦- وقال عون بن عبد الله -رحمه الله-:" إن لكل رجل سيدًا من عمله، وإن سيد عملي: الذكر".

١٧- وقال أحمد بن عطاء السكندري -رحمه الله-:" قوت الأرواح والقلوب؛ ذكر علام الغيوب ".

١٨- وقال الغزالي -رحمه الله-:" إن ذكر الله ليس استحضارًا لغائب، إنما هو حضورك أنت من غيبة وإفاقتك أنت من غفلة ".

١٩- وكان الحسن البصري -رحمه الله- كثيرًا ما يقول:" إذا لم يُحدِّث الناس بالعلم، و لم يكن له شغل: سبحان الله العظيم، فذكر ذلك لبعض فقهاء مكة، فقال: إنَّ صاحبكم لفقيه".

وكان يقول -رحمه الله-:" تفقَّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم... وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

فاللذكر لذة وحلاوة لقلوب العارفين، **قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (**الرعد:٢٨**)

٢٠- قال مالك بن دينار-رحمه الله-:" ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ". (**أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧٠٤**)

لما كان الذكر من نعيم الدنيا لم يحرم الله عز وجل أهل الجنة من هذا النعيم: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (**يونس:١٠**)

٢١- قال بعض العارفين:" لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه (أي من اللذة والنعيم) لجالدونا عليه بالسيوف ".

٢٢- وقال آخر:" مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره". وهذه هي جنة الدنيا التي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية:" إنَّ في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة! قالوا: وماهي؟ قال محبة الله وذكره ".

٢٣- وقال ابن القيم -رحمه الله-:" الذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم ".

وقال -رحمه الله-:" محبة الله تعالى ومعرفته، ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإراداته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قوة عين المحبين، وحياة العارفين ".

وقال -رحمه الله-:" ثبت أن غاية الخلق والأمر أن يذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر. وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره، شاكر لمن شكره".

قال ابن القيم أيضًا:" سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول:" إن في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة ".

وقال لي مرة:" ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري أينما رحتُ فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

وكان يقول في سجوده وهو محبوس:" اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله ".

وقال لي مرة:" المحبوس من حبس قلبه عن مولاه، والمأسور من أسره هواه ".

ولقد حضرته مرة: بعدما صلى الفجر ثم جلس في المسجد يذكر الله حتى انتصف النهار ثم التفت إليَّ وقال لي:" هذه غدوتي ولو لم اتغذى هذا الغذاء لسقطت قوتي ".

٢٤- وقيل لمحمد بن نصر: أما تستوحش وحدك؟ قال:" كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني ".

٢٥- قال ذو النون-رحمه الله-:"ما طابتِ الدنيا إلا بِذكرِه، ولا طابت الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابت الجنةُ إلا برؤية وجهه ". **(أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٣٧٢/٩)**

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته.

وقال أيضًا:" من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه ". (**جامع العلوم والحكم ص٧٦٨**).

٢٦- وكان الثوري يقول:

لا لأنِّي أنساك أكثر ذِكراك ولكن بذاك يجري لساني

٢٧- وقال ابن رجب -رحمه الله-:" كلَّما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كُلفة، حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه: الله الله، ولهذا يُلهم أهلُ الجنة التسبيح، كما يُلهمون النفس، وتصير لا إله إلا الله؛ كالماء البارد لأهل الدنيا ".

٢٨- بل كان السلف الكرام يحرصون على الذكر دومًا لا يفتر لسانهم عن ذكر الله حتى وهم في الرمق الأخير. فقد أخرج ابن أبي الدنيا بإسناده إلى إسماعيل بن عمرو قال:" دخلنا على ورقاء بن عمر وهو في الموت، فجعل يهلل ويذكر الله ﷻ وجعل الناس يدخلون عليه ويسلمون عليه فيرد عليهم السلام، فلما أكثروا عليه أقبل على ابنه فقال: يا بني اكفني رد السلام على هؤلاء لا يشغلوني عن ذكر ربي ﷻ".

فسبحان من زين بالذكر ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل عن ذكر الله كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك